الأنثروبولوجيا والسيميولوجيا

اعداد

د/ عبيدة صبطي

إشراف ومراجعة

أ.د/ عبد الوهاب جودة الحايس

(٢٠١٨)



بطاقة فهرسة

الحايس ، عبدالوهاب – صبطي ، عبيدة

سيمولوجيا الممارسات الاجتماعية والثقافية

اعداد أ.د/عبد الوهاب الحايس – د/ عبيدة صبطي

١٧ × ٢٤ سم

رقم الايداع القانوني بدار الكتب المصرية

٥٨٦١/ ٢٠١٨

طبع في جمهورية مصر العربية بمطابع دار المعارف

المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب

AIESA

Website: www.aiesa.org





(وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)



سورة النساء : الأية (١١٣)

قائمة المحتويات

مقدمة

الأنثروبولُوجيَا والسِّيمْيولُوجِيَا علمان حديثان إذا ما قيس ببعض العلوم الأخرى كالفلسفة والطب والفلك...وغيرها.إلا أنّ البحث في شؤون الإنسان و حياة المجتمعات الإنسانية قديم قدم الإنسان، مذ وعى ذاته وبدأ يسعى للتفاعل الايجابي مع بيئته الطبيعية والاجتماعية.

لقد درج العلماء والفلاسفة في كل مكان وزمان عبر التاريخ الإنساني، على وضع نظريات عن طبيعة حياة المجتمعات البشرية، وما يدخل في نسيجها وأبنيتها من دين أو سلالة، ومن ثم تقسيم كل مجتمع إلى طبقات بحسب عاداتها ومشاعرها ومصالحها.

وقد أسهمت الرحلات التجارية والاكتشافية، وأيضا الحروب، بدور هام في حدوث الاتصالات المختلفة بين الشعوب والمجتمعات البشرية، حيث قربت فيما بينها وأتاحت معرفة كل منها بالآخر، ولا سيما ما يتعلق باللغة و العادات و التقاليد والقيم...ولذلك، فمن الصعوبة بمكان، تحديد تاريخ معين لبداية الأنثروبولوجيا والسيميولوجيا.

وعلى أية حال، وبقصد انجاز هذا العمل قمنا في بداية الأمر بتخصيص الفصل الأول لتناول نشأة وتطور مفهوم الأنثروبولوجيا عبر العصور. أما الفصل الثاني المعنون بـ السيميولوجيا بين النشأة والمفهوم حيث تناولنا فيه كل مراحل تطور السيميولوجيا وكذا مفهومها.

بينما تناولنا في الفصل الثالث عن المدارس السيميولوجية وذلك من خلال التعرض إلى المدرسة الفرنسية والمدرسة الأمريكية.

في حين خصصنا في الفصل الرابع للاتجاهات السيميولوجية إلى سيميولوجيا التواصل وسيميولوجيا الدلالة وسيميولوجيا الثقافة.

وأخيرا، حاولنا من خلال الفصل الخامس التعرض إلى تصنيف العلامات حسب المدرستين الفرنسية والأمريكية مع أمثلة تطبيقية.

ثم أردفنا البحث بخاتمة لخصت فيها أهم النتائج التي يمكن استخلاصها علميا وعمليا.

وبقي لنا من هذا التقديم التعبير عن إمتناننا الشديد لأصحاب الفضل ممن ساهموا في صنع الكتاب وعقل كاتبه، وعلى رأسهم أستاذنا الفاضل البروفيسور عبد الوهاب جودة الحايس الذي علمنا ليثقفنا، وثقفنا ليعلمنا.

والله ولي التوفيق

الدكتورة: عبيدة صبطي

الفصل الأول

الأنثروبولوجيا بين النشأة والمفهوم

تمهيد

إن هذا الكائن الفريد الذي اسمه الإنسان كان دائما ولا يزال موضع التأمل والدراسة من قبل كثير من العلوم الطبيعية والإنسانية على حد سواء، فمنذ قديم الزمان لاحظ الإنسان بصفة عامة الفروق القائمة بين شعوب الجنس البشري وإهتم بمعرفة الطبيعة الإنسانية وتفسير الاختلافات في الملامح الجسمية ولون البشرة والعادات والتقاليد والديانات والفنون وغير ذلك من مظاهر الحياة، وفي إطار هذا الاهتمام والتساؤل تطورت الدراسات خلال العصور وتبلورت بنشأة فرع جديد من فروع المعرفة اصطلح على تسميته الأنثروبولوجيا(Anthropology) **(سيدي دريس عمار: ٢٠١٥، ص. ١٣).**

والأنثروبولوجيا هي علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا، إنها المعرفة المنظمة عن الإنسان، هو الدراسة العلمية للإنسان في كل زمان ومكان، ولا يتقيد بفترات الزمن أو بحواجز المكان، ولكنه يتقيد ببحث موضوع واحد لا يخرج عنه وهو الإنسان.

وعليه يجمع الباحثون في علم الأنثربولوجيا على أنه علم حديث العهد، إذا ما قيس ببعض العلوم الأخرى كالفلسفة والطب والفلك...وغيرها.إلا أنّ البحث في شؤون الإنسان والمجتمعات الإنسانية قديم قدم الإنسان، مذ وعى ذاته وبدأ يسعى للتفاعل الايجابي مع بيئته الطبيعية والاجتماعية.

لقد درج العلماء والفلاسفة في كل مكان وزمان عبر التاريخ الإنساني، على وضع نظريات عن طبيعة المجتمعات البشرية، وما يدخل في نسيجها وأبنيتها من دين أو سلالة، ومن ثم تقسيم كل مجتمع إلى طبقات بحسب عاداتها ومشاعرها ومصالحها **(عيسى الشماس: ٢٠٠٤، ص.٩).**

وقد أسهمت الرحلات التجارية والاكتشافية، وأيضا الحروب، بدور هام في حدوث الاتصالات المختلفة بين الشعوب والمجتمعات البشرية، حيث قربت فيما بينها وأتاحت معرفة كل منها بالآخر، ولا سيما ما يتعلق باللغة والتقاليد والقيم...ولذلك، فمن الصعوبة بمكان، تحديد تاريخ معين لبداية الأنثروبولوجيا.

١. نشأة وتطور الأنثربوبولوجيا

من خلال هذا المبحث سيتم التطرق لأهم المراحل التاريخية التي مرت بها الأنثروبولوجيا في نشأتها، وذلك بداية من العصور القديمة عند

الإغريق والرومان والصينيين القدماء مرورا بالعصور الوسطى بتسليط الضوء بمراحل نشأة الأنثروبولوجيا عند الأروبيين والعرب، وصولا إلى عصر النهضة الأوربية أين أتسع مفهوم ومضمون الأنثروبولوجيا في معناه الحقيقي.

١,١ نشأة الأنثربولوجيا في العصر القديم

يجمع معظم علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا، على أن الرحلة التي قام بها المصريون القدماء في عام (١٤٩٣) قبل الميلاد إلى بلاد بونت (الصومال حاليا) بهدف التبادل التاريجي، تعدّ من اقدم الرحلات التاريخية في التعارف بين الشعوب.وقد كانت الرحلة مؤلفة من خمسة مراكب، على متن كلّ منها ٣١ راكباً، وذلك بهدف تسويق بضائعهم النفيسة التي شملت البخور والعطور.ونتجعن هذه الرحلة اتصال المصريين القدماء بأقزام إفريقيا.وتأكيدا لاقامة علاقاتهم معهم فيما بعد، فقد صورت النقوش في معبد الدير البحري، استقبال ملك وملكة بلاد / بونت/ لمبعوث مصري **(عيسى الشماس:٢٠٠٤، ص. ١٩).**

١,١,١ عند الإغريق (اليونان القدماء)

يعدّ المؤرخ الإغريقي (اليوناني) هيرودوتس (Herodotus)، الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، وكان رحالة محبّاً للأسفار، أول من صوّر أحلام الشعوب وعاداتهم وطرح فكرة وجود تنوع وفوارق فيما بينها، من حيث النواحي السلالية والثقافية واللغوية والدينية.ولذلك يعتبره معظم مؤرخي الأنثروبولوجيا الباحث الأنثروبولوجي الأول في التاريخ.

فهو أو من قام بجمع معلومات وصفيّة دقيقة عن عدد كبير من الشعوب غير الأوربية (حوالي خمسين شعباً)، حيث تناول بالتفصيل تقاليدهم وعاداتهم، وملامحهم الجسميّة وأصولهم السلالية. إضافة إلى أنه قدم وصفا دقيقا لمصر وأحوالها وشعبها، وهو قائل العبارة الشهيرة "مصر هبة النيل".

ومما يقوله في عادات المصريين القدماء : إنّه في غير المصريين،

يطلق كهنة الآلهة شعورهم، أما في مصر فيحلقونها.ويقضي العرف عند سائر الشعوب، بأن يحلق أقارب المصاب رؤوسهم في أثناء الحداد، ولكن المصريين إذا نزلت بساحتهم محنة الموت، فانهم يطلقون شعر الرأس واللحية **(خفاجة محمد صقر: ١٩٦٦، ص. ١٢٠)**.

وأما عن المقارنة بين العادات الإغريقية والليبية، فيقول: يبدو أنّ ثوب أثينا ودرعها وتماثيلها، نقلها الإغريق عن النساء الليبيات.غير أن لباس الليبيات جلدي، وأن عذبات دروعهن المصنوعة من جلد الماعز ليست ثعابين، بل هي مصنوعة من سيور جلد الحيوان.

وأما ما عدا ذلك، فإن الثوب والدرع في الحالتين سواء... ومن الليبيين تعلم الإغريق كيف يقودون العربات ذات الخيول الأربعة **(خشيم علي فهمي: ١٩٦٧، ص. ٨٧)**.

واستناداً إلى هذه الإسهامات المبكرة والجادة، يعتقد الكثيرون من علماء الأنثروبولوجيا، أن منهج "هيرودوتس" في وصف ثقافات الشعوب وحياتهم وبعض نظمهم الاجتماعية، ينطوي على بعض أساسيات المنهج (الإثنوغرافي) المتعارف عليه في العصر الحاضر باسم (علم الشعوب).

بالاضافة إلى هذا فهناك من يقول أن أرسطو كان من الأوائل الذين وضعوا بعض أوليات الفكر التطوري للكائنات الحية، وذلك من خلال ملاحظاته وتأملاته **(سيدي دريس عمار: ٢٠١٥، ص. ٣٠)**.في التركيبات البيولوجية وتطورها في الحيون..كما ينسب إليه ايضاً، توجيه الفكر نحو وصف نشأة الحكومات وتحليل أشكالها وأفضله، الأمر الذي يعتبر مساهمة مبدئية وهامة في دراسة النظم الاجتماعية والانسانية.

إنّ الدارس أعمال الفلاسفة اليونانيين يصل إلى معلومة طريفة وذات صلة بالفكر الانثروبولوجي، وهي : أن اليونانيين اخذوا الكثير من الحضارات التي سبقتهم امتزجت فلسفتهم بالخضارة المصرية القديمة، وتمخض عنها ما يعرف باسم "الحضارة الهيليلنية" تلك الحضارة التي سادت وازدهرت في

القرون الثلاثة السابقة للميلاد **(فهيم حسين: ١٩٨٦، ص. ٤٦).**

١,١,٢ عند الرومان

امتد عصر الإمبراطورية الرومانية حوالي ستة قرون، تابع خلالها الرومان ما طرحه اليونانيون من مسائل وأفكار حول بناء المجتمعات الإنسانية وطبيعتها، وتفسير التباين والاختلاف فيما بينها..ولكنّهم لم يأخذوا بالنماذج المثالية (المجرّدة للحياة الإنسانية)، بل وجّهوا دراساتهم نحو الواقع الملموس والمحسوس.ومع ذلك لا يجد الأنثروبولوجيون في الفكر الروماني ما يمكن اعتباره كإسهامات أصيلة في نشأة علم مستقلّ لدراسة الشعوب وثقافاتهم، أو تقاليد راسخة لمثل هذه الدراسات **(سيدي دريس عمار: ٢٠١٥، ص. ٣١).**

ولكن يمكن أن يستثني من ذلك، أشعار "كاروس لوكرتيوس" التي احتوت على بعض الأفكار الاجتماعية الهامة.فقد تناول موضوعات عدّة عرضها في ستة أبواب رئيسة، ضمنّها أفكاره ونظرياته عن المادة وحركة الأجرام السماوية وشكلها، وتكوين العالم...وخصّص الباب السادس لعرض فكرتي: التطور والتقدم، حيث تحدّث عن الإنسان الأول والعقد الاجتماعي، ونظامي الملكية والحكومة، ونشأة اللغة، إضافة إلى مناقشة العادات والتقاليد والفنون والأزياء والموسيقى **(سيدي دريس عمار: ٢٠١٥، ص. ٣١).**

وقد رأى بعض الأنثروبولوجيين، أن "لوكرتيوس" استطاع أن يتصور مسار البشرية في عصور حجرية ثمّ برونزية، ثمّ حديدية...بينما رأى بعضهم الآخر في فكر "لوكرتيوس"، تطابقا مع فكر" لويس مرغان" (Morgane. L) وهو أحد أعلام الأنثروبولوجيا في القرن التاسع عشر.وذلك من حيث رؤية التقدّم والانتقال من مرحلة إلى أخرى، في إطار حدوث طفرات مادية، وإن كان مردّها في النهاية إلى عمليات وابتكارات عقلية **(Darnell,Regna and editor : 1978, p.15).**

وإذا استثنينا أشعار "لوكرتيوس" هذه وما احتوتها من أفكار تتعلّق بطبيعة الكون ونشأة الإنسان وتطوّره، فإنّه من الصعوبة بمكان أن تنسب نشأة

علم الأنثروبولوجيا إلى الفكر الروماني القديم، كما هي الحال عند الإغريقيين.وعلى الرغم من أنّ، الرومان اهتمو بالواقع، من حيث ربط السلالات البشرية بإمكانية التقدم الاجتماعي والحركة الحضارية، فقد وجدوا في أنفسهم امتيازاً وأفضلية على الشعوب الأخرى.

فكان الروماني فوق غيره بحكم القانون، حتى أنّ الرومان إذا أرادو أن يرفعوا من قدر إنسان أو شأن سلالة، أصدرت الدولة قراراً بمنح الجنسية الرومانية لأي منهما ويبدو أن هذا الاتجاه العنصري، وجد في معظم الحضارات القديمة، ولا سيما الحضارات الشرقية: الإغريقية والرومانية والصينية (**مؤنس محمد:** ١٩٧٨، **ص. ٤٣).**

١,١,٣ عند الصينيون القدماء

يعتقد بعض المؤرّخين، ولا سيما الأنثروبولوجيون منهم، أنّه على الرغم من اهتمام الصينيين القدماء بالحضارة الرومانية وتقديرها، فلم يجدوا ما ينافس حضارتهم.

كان الصينيون القدماء يشعرون بالأمن والهدوء داخل حدود بلادهم، وكانوا مكتفين ذاتياً من الناحية الاقتصادية المعاشية، حتى أن تجارتهم الخارجية انحصرت فقط في تبادل السلع والمنافع، من دون أن يكون لها تاثيرات ثقافية عميقة.فلم يعبأ الصينيون في القديم بالثقافات الأخرى خارج حدودهم، ومع ذلك لم يخلُ تاريخهم من بعض الكتابات الوصفية لعادات الجماعات البربرية، والتي كانت تتّسم بالازدراء والاحتقار (**سيدي دريس عمار: ٢٠١٥، ص .٣٣).**

وهذا الاتجاه نابع من نظرة الصينيين القدماء للعنصرية، إذ كانوا يعتقدون-كالرومان- أنهم أفضل الخلق، وأنّه لا وجود لأية حضارة أو فضيلة خارج جنسهم، بل كانوا يرون أنّهم لا يحتاجون إلى غيرهم في شيء... ولكي يؤكّد ملوكهم هذا الواقع، أقاموا "سور الصين العظيم" حتى لا تدنّس أرضهم بأقدام الآخرين. ولذلك اهتمّ فلاسفة الصين القدماء، بالأخلاق وشؤون

المجتمعات البشرية، من خلال الاتجاهات الواقعية/ العملية في دراسة أمور الحياة الإنسانية ومعالجتها، لأنّ معرفة الأنماط السلوكية التي ترتبط بالبناء الاجتماعي، في أي مجتمع، تسهم في تقديم الدليل الواضح على التراث الثقافي لهذا المجتمع، والذي يكشف بالتالي عن طرائق التعامل فيما بينهم من جهة، ويحدّد أفضل الطرائق للتعامل معهم من جهة أخرى، وهذا ما يفيد الباحثين في العلوم الأخرى، ولا سيّما تلك التي تعنى بالإنسان **(مؤنس محمد: ١٩٧٨، ص. ١٥)**.

٢,١ الأنثروبولوجيا في العصور الوسطى

يجمع معظم المؤرخين أن هذه العصور، تمتدّ من القرن الرابع إلى القرن الرابع عشر الميلادي.وقد اصطلح على تسميتها بالعصور الوسطى كونها ارتبطت بتدهور الحضارة الأروبية وارتداد الفكر إلى حقبة مظلمة من جهة، ولأنها من جهة وقعت بين عهدين هما: نهاية ازدهار الفلسفات الأروبية القديمة (اليونانية والرومانية) وبداية عصر النهضة الأوربية (عصر التنوير) والانطلاق إلى مجالات جديدة من استكشاف العوالم الأخرى، وإحياء التراث الفكري القديم، وإبداعات في الفنون والآداب المختلفة، في الوقت الذي كانت فيه الحضارة العربية الإسلامية تزدهر، وتتسع لتشمل مجالات العلوم المختلفة **(سيدي دريس عمار: ٢٠١٥، ص ص. ٣٣-٣٤)**.

١,٢,١ العصور الوسطى في أروبا

يذكر المؤرخون أنه في هذه العصور الوسطى (المظلمة) تدهور التفكير العقلاني، وأدينت أيّة أفكار تخالف التعاليم المسيحيّة، أو ما تقدّمه الكنيسة من تفسيرات للكون والحياة الإنسانية، سواء في منشئها أو في مآلها.ولكن إلى جانب ذلك، كانت مراكز أخرى وجهت منطلقات المعرفة، وحدّدت طبيعة الحضارة الغربية في تلك العصور، كبلاط الملوك مثلا، الذي كان يضمّ في العادة، فئات من المثقفين كرجال الإدارة والسياسة والشعراء**(سيدي دريس عمار: ٢٠١٥، ص. ٣٤)**.

يضاف إلى ذلك التوسّع في دراسة القانون (جامعة بولونيا) ودراسة الفلسفة واللاهوت (جامعة باريس) مما كانت له آثار واضحة في الحياة الأوروبية العامة (السياسة والاجتماعية والثقافية والدينية) ومهد بالتالي للنهضة التي شهدتها أوروبا بعد هذه العصور.

لقد ظهرت في هذه المرحلة محاولات عدة للكتابة عن بعض الشعوب، إلاّ أنّها اتّسمت غالبا بالوصف التخيّلي، بعيدة عن المشاهدة المباشرة على أرض الواقع.مثال ذلك، ما قام به الأسقف "إسيدور (Isidore) الذي عاش ما بين (٥٦٠-٦٣٦) حيث أعدّ في القرن السابع الميلادي موسوعة عن المعرفة، وأشار فيها إلى بعض تقاليد الشعوب المجاورة وعاداتهم، ولكن بطريقة وصفية عفوية، تتّسم بالسطحية والتحيّز.ومما ذكره، أنّ قرب الشعوب من أروبا أو بعدها عنها، يحدد درجة تقدمها.

فكلما كانت المسافة بعيدة، كان الانحطاط والتدهور الحضاري مؤكّدا لتلك الشعوب.ووصف الناس الذين يعيشون في أماكن نائية، بأنهم من سلالات غريبة الخلق، حيث تبدو وجوههم بلا أنوف.وقد ظلت تلك المعلومات سائدة وشائعة حتى القرن الثالث عشر، حيث ظهرت موسوعة أخرى أعدها الفرنسي "باتولو ماكوس(Batholo Macus)" والتي حظيت بشعبية كبيرة، على الرغم من أنها لم تختلف كثيرا عن سابقتها في الاعتماد على الخيال **(فهيم حسين:١٩٨٦، ص ص. ٥٠-٥٢).**

١,٢,٢ العصور الوسطى عند العرب

وتمتدّ من منتصف القرن السابع الميلادي، وحتى نهاية القرن الرابع عشر تقريباً.حيث بدأ الإسلام في الانتشار، وبدأت معه بوادر الحضارة العربية الإسلامية أنذاك بالتكوين والازدهار.وقد تضمّنت هذه الحضارة:الآداب والأخلاق والفلسفة والمنطق، كما كانت ذات تأثيرات خاصة في الحياة السياسية والاجتماعية والعلاقات الدولية.

وقد اقتضت الأوضاع الجديدة التي أحدثتها الفتوحات الإسلامية،

الاهتمام بدراسة أحوال الناس في البلاد المفتوحة وسبل إدارتها، حيث أصبح ذلك من ضروات التنظيم والحكم(**سيدي دريس عمار: ٢٠١٥، ص .٣٥**).

ولذلك، برز العرب في وضع المعاجم الجغرافية، كمعجم (البلدان) لياقوت الحموي.وكذلك إعداد الموسوعات الكبيرة التي بلغت ذروتها في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي) مثل "مسالك الأمصار" لابن فضل الله العمري"، ونهاية الأرب في فنون العرب للنويري.

وإلى جانب هتمّام هذه الكتب الموسوعية بشؤون العمران، فقد تميّزت مادتها بالاعتماد على المشاهدة والخبرة الشخصيّة، وهذا ما جعلها مادة خصبة من ناحية المهنج الأنثروبولوجي في دراسة الشعوب والثقافات الإنسانية (**سيدي دريس عمار: ٢٠١٥، ص. ٣٥**).

وهناك من تخصّص في وصف إقليم مثل ا(البيروني) الذي عاش ما بين (٣٦٢-٤٤٠ هجرية) ووضع كتابا عن الهند بعنوان "تحرير ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة".

وصف فيه المجتمع الهندي بما فيه من نظم دينية واجتماعية و أنماط ثقافية.واهتم أيضًا بمقارنة تلك النظم والسلوكيات الثقافية، بمثيلاتها عند اليونان والعرب والفرس.وأبرز البيروني في هذا الكتاب حقيقة أن الدين يؤدي الدور الرئيس في تكبيل الحياة الهندية، وتوجيه سلوك الأفراد والجماعات، وصياغة القيكم والمعتقدات (**فهيم حسين:١٩٨٦، ص. ٥٤**).

كما كانت لرحلات "ابن بطوطة" وكتاباته خصائص ذات طابع أنثروبولوجي، برزت في اهتمامه بالناس ووصف حياتهم اليومية، وطابع شخصياتهم وأنماط سلوكاتهم وقيمهم وتقاليدهم.

كما تعتبر مقدمة "ابن خلدون" الرئيسة عملا أصيلا في تسجيل الحياة الاجتماعية لشعوب شمال إفريقيا، ولا سيما العادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية، إلى جانب بعض المحاولات النظرية لتفسير كلّ ما رآه من أنظمة اجتماعية مختلفة.وقد شكلت موضوعات هذه المقدمة فيما بعد اهتماما رئيسيا

في الدراسات الأنثروبولوجية **(زينب حسن زيود: ٢٠١٥، ص. ٤٥).**

واستناداً إلى ما تقدم يمكن القول: إن الفلاسفة والمفكرين العرب أسهموا بفاعلية- خلال العصور الوسطى- في معالجة كثير من الظواهر الاجتماعية التي يمكن أن تدخل في الاهتمامات الأنثروبولوجية، ولاسيما التنوع الثقافي (الحضاري) بين الشعوب، سواء بدراسة خصائص ثقافة أو حضارة بذاتها، أو بمقارنتها مع ثقافة أخرى **(عيسى لى الشماس: ٢٠٠٤، ص. ٣٩).**

١,٣ الأنثروبولوجيا في عصر النهضة الأوروبية

عصر النهضة كان حركة ثقافية أثرت بعمق على الحياة الفكرية الأوروبية في الفترة الحديثة المبكرة.بدأ في إيطاليا، وينتشر إلى بقية أوروبا من القرن السادس عشر، وشُعر بنفوذها في الفلسفة والأدب والفن والموسيقى والسياسة والعلوم والدين، وغير ذلك من جوانب التساؤلات الفكرية.علماء عصر النهضة استخدموا الأسلوب الإنساني في الدراسة، وبحثوا عن الواقعية والمشاعر الإنسانية في الفن**(زينب حسن زيود: ٢٠١٥، ص. ٤٥).**

تكمن أهمية عصر النهضة بالنسبة للأنثروبولوجيا في المادة الإثنوغرافية التي توافرت فيه والتي تعتبر عملا أوليا في المعرفة الأنثروبولوجية، فمن خلال تدوين سير الرحالة وما يشاهدونه ومن خلال وصف الأقاليم والشعوب غير الأروبية وقف العقل الأروبي على حقيقة الجنس البشري وعلى تنوعه وتنوع إنتاجه الحضاري**(زينب حسن زيود: ٢٠١٥، ص. 46).**

ولعل أهم حدث غير مجرى التاريخ ومجرى الفكر كذلك وأثّرت في علم الأنثروبولوجيا، الرحلة التي قام بها " كريستوف كولومبوس" إلى القارة الأمريكية ما بين (١٤٩٢-١٥٠٢) حيث زخرت مذكراته عن مشاهداته واحتكاكاته بسكان العالم الجديد، بالكثير من المعلومات والمعارف عن أساليب حياة تلك الشعوب وعاداتها وتقاليدها، اتسمت بالموضوعية نتيجة للمشاهدة المباشرة.

ومما قاله في وصف سكان جزر الكاريبيان في المحيط الأطلسي " إنّ أهل تلك الجزر كلهم عراة تماماً، الرجال منهم والنساء، كما ولدتهم أمّهاتهم.ومع ذلك فثمة بعض النساء اللواتي يغطينّ عورتهن بورق الشجر، أو قطعة من نسيج الألياف تصنع لهذا الغرض.ليست لديهم أسلحة ومواد من الحديد أو الصلب وهم لا يصلحون لاستخدامها على أيّة حال.ولا يرجع السبب في ذلك إلى ضعف أجسادهم، وإنّما إلى كونهم خجلون ومسالمون بشكل يثير الإعجاب **(زينب حسن زيود: ٢٠١٥، ص. 46).**

وكتب في وصفه لسكان أمريكا الأصليين: "انهم يتمتعون بحسن الخَلق والخُلُق، وقوة النية الجسدية.كما أنهم يشعرون بحرية التصرف فيما يمتلكون، إلى حدّ أنهم لا يتردّدون في إعطاء من يقصدهم أياً من ممتلكاتهم، علاوة على انهم يتقاسمون ما عندهم برضى وسرور **(زينب حسن زيود: ٢٠١٥، ص. ٤٧).**

ويمكن القول إن الإستكشافات الجغرافية ساهمت جنبا إلى جنب مع الإتجاه العلمي، علاوة على سيادة المذهب الإنساني، بل قد أثروا جميعهم ولا شك ولو بدرجات متفاوتة وفي مجالات متباينة في تشكيل منطلقات الفكر الاجتماعي النظري وفي إبراز اهتمامات جديدة في مجال دراسة الإنسان الأروبي وغيره.

كل هذا، شجع على الاهتمام بالإنسان وبدراسته وبتطوره وتطور نتاجه الثقافي واختلافه، فظاهرة التنوع الحضاري بين البشر الذي أبرزته وأكدته كتابات الرحالة، جعل الأوربيين يتجهون نحو فحص الذات والتأمل في أحوالهم، أجل فعلوا ذلك عن طريق المقارنة بين أنفسهم وبين الشعوب المكتشفة في ضوء ما ورد عنها من كتابات وأوصاف، لأنه قد ساد بصفة عامة نوع من التأملات التجريدية والرومانتيكية عن الحياة البدائية والطبيعية.

وربما ترجع أولى المحاولات لتدوين المادة الإثنروغرافية والتنظير بشأنها إلى الرحالة الإسباني "جوزيه أكوسا" في القرن السادس عشر حينما حاول ربط ملاحظاته الشخصية عن السكان الأصليين في العالم الجديد ببعض الأفكار النظرية، فقد افترض مثلا أن الهنود الحمر كانوا قد نزحوا أصلا من

أسيا إلى أمريكا وبذلك فسر اختلاف حضارتهم عن تلك التي كانت سائدة في أوروبا حينذاك، كذلك قدم "أكوسا" فرضا أخر حول تطور الحضارة الإنسانية عبر مراحل معينة، وقفت فيها أوروبا بأعلى الدرج وأتت بعدها الصين في المرتبة الثانية لمعرفتها الكتابة بينما احتلت المكسيك مرتبة أدنى من ذلك، أما المجتمعات الأخرى فقد تم تصنيفها على درجات متباينة في أسفل الدرج وقد أقام "أكوسا" تصنيفاته على أساس معرفة الشعوب بالكتابة والقراءة **(زينب حسن زيود: ٢٠١٥، ص. ٤٧).**

ولم يعد الوصف كافيا بل بدأ المفكرون والباحثون في استخلاص أفكار نظرية من تلك المادة الاثنوغرافية التي يوفرها المستكشف أو الرحالة مثلا، ولم تعد الكتابات تيستمد مصداقيته من الخيال بل اصبحت تتجه نحو البحث الميداني وكانت أهم الخطوات في مجال البحث الميداني ضمن حقل الأنثروبولوجيا تلك التي قام بها الفرنسي (١٨٩٢) (ميشيل دي مونتاني) الذي أجرى مقابلات مع مجموعة من السكان الأصليين الذين كان بعض المكتشفين قد أحضرهم إلى أوروبا، واستحدم "مونتاني" هؤلاء الأسرى كاخباريين أي أنه جمع منهم معلومات عن العادات والتقاليد السائدة في موطنهم الأصلي وخرج منذلك بمقولة أنه لفهم العالم لابد من دراسة التنوع الحضاري للبشر واستقصاء أسبابه.

لذلك يتسنى لأروبا أن تفهم ثقافات الشعوب الأخرى باعتباره أن لها منطلقاتها وأخلاقيتها الخاصة بها وبالتالي نجد هذا الفيلسوف الفرنسي قد طرح مقدما فكرة "النسبية الأخلاقية" على حد تعبير "ايدموند ليتش" وإلى جانب "مونتاني نشير إلى عالمين فرنسيين آخرين من مفكري القرن الثامن عشر واللذان يرى الأنثروبولوجيون في أعمالهما جذورا للفكر الأنثروبولوجي النظري وهما البارون "دي مونتسكيو"وجان جاك روسو" **(زينب حسن زيود: ٢٠١٥، ص. ٤٨).**

أما عن أصول نظرية الفكر الأنثروبولوجي الفكر الألماني في عصر التنوير، فقد تبلور الفكر الألماني حول فكرة التفوق العنصري متأثرا في ذلك

بالنزعة القومية، التي برزت في منتصف القرن الثامن عشر.وقد حاول كل من "جورج ويلهم" "هيجل ويوهان فخته أن يجعلا من الشعب الروسي الجرماني الشعب الأمثل.

وجاءت كتابات "يوهان فون هيدردر" لتؤكد التمايز بين السلالات البشرية من ناحية التركيب الفيزيقي الجسمي، وبالتالي "تتفاوت تلك السلالات في مدى التاثر بمظاهر المدنية، وفي تمثلها لمقومات الحضارة.

وعلى هذا الأساس يذهب "هيردر" إلى أن هناك سلالات بشرية خلقت للرقي، وأخرى قضي عليها بالتأخر والانحطاط.بل إن السلالات المختلفة في مضمار الحضارة يجب أن تظل كذلك لأنها ليست أهلا للرقي. وقد ترتب على نظرية السايدة العنصرية للجنس الجرماني نتائج سياسية من أهمها شرعية قهر الشعوب المتأخرة **(فهيم حسين:١٩٨٦، ص. ٧٨).**

١، ٤ الأنثروبولوجيا في العصر الحديث

إن الاتجاه العلمي الذينشط في القرن التاسع عشر وتبلور في مجالات متعددة، دفع العقل الغنساني غلى نبذ الفكر الفلسفي الميتافيزيقي الذي كان يتحفظ على قدرة العقل الإنساني في التوصل غلى الحقيقة المطلقة.

وكنتيجة لذلك شهدت بدايات القرن العشرين قصور الميتافيزيقا على حل المشكلات الإنسانية الجديدة إزاء ما كان قد قدمه العلم في القرن السابق، وما أحرزه أيضا من تقدم في العقدين الأولين من القرن العشرين، وما نتج عنه قيم فكرية جديدة تدعو الى النظر الى العقل والمنطق المحسوس، والواقع الملموس كأدوات للمعرفة، كما تدعو إلى التفاؤل بمستقبل الإنسانية.

إلا أن أحداث الحرب العالمية الأولى ونتائجها السلبية على المجتمع الإنساني، بدّدت التفاؤل بمستقبل الإنسانية، وأحلت محله النظرة التشاؤمية.وهذا ما بدا في نظرة الفلاسفة إلى مشكلات الإنسان في القرن العشرين، إلى حدّ اعتقاد بعضهم أنّ المستقبل صعب ومظلم لاسيما مع ظهور النازية في ألمانيا، والفاشية في إيطاليا خلال سنوات ما بعد الحرب.وإن ذلك يقضي على الآمال

التي كانت معقودة على تحرير الإنسان واحراز تقدم حضاري كبير من خلال الاستخدامات البناءة للاكتشافات العلمية في ميادين الفيزياء والطب (**زينب حسن زيود: ٢٠١٥، ص .٤٩).**

هؤلاء الفلاسفة التشاؤميون رأو أن المخرج من أزمة الحياة الانسانية في ذلك العالم السيء يكون باحياء قيمه الدينية والتمسك بها.وبلغ هذا الاتجاه ذروته فيما عرف بالحركة (الوجودية) التي شاعت في فرنسا، وعلى رأسها " جان بول سارتر" الذي عاش ما بين (١٩٠٥-١٩٨٠) **(زينب حسن زيود: ٢٠١٥، ص. ٤٩).**

إلى جانب الوجودية ظهر اتجاه وصف بالتفاؤل كان من أبرز رواده في أمريكا الفيلسوف التربوي" جون ديوي" الذي عاش ما بين (١٨٥٩-١٩٥٢).فقد أصدر كتابه الشهير إعادة البناء في الفلسفة وتبنى فيه موقفا صريحا مناهضا للفلسفة الميتافيزيقية.

ودعا فيه إلى ضرورة الاهتمام بالبحث عن القوى المعنوية التي تحرك مناشط الإنسان، لاعتقاد "ديوي" أن لدى هذا الإنسان الكثير من الإمكانات والقدرات التي يمكنه بواسطتها الخروج من أزمته الراهنة..كما تساعده في مشكلاته الحياتية المتزايدة، دون اللجوء إلى قوى خارجة عن نطاق الطبيعة **(زينب حسن زيود: ٢٠١٥، ص ٥٠).**

لقد شهد القرن العشرين مراحل تكوين الأنثروبولوجيا وتطويرها، لتصبح كيانا أكاديميا ومهنة متخصصصة عند كثير من العلماء والفلاسفة والباحثين، فقد تحول هذا العلم إلى منطلقات جديدة نتج عنها اتجاهات متعددة إزاء دراسة الإنسان وحضارته، سواء ما كان منها نظريا أم منهجيا.

٢.طبيعة ومفهوم الأنثروبولوجيا وأهدافها

٢,١ طبيعة الأنثروبولوجيا

إن الشعوب الناطقة باللغة الإنجليزية جميعها، تطلق على علم الأنثروبولوجيا: علم الإنسان وأعماله" بينما يطلق المصطلح ذاته في البلدان الأوروبية غير الناطقة بالإنجليزية، على دراسة الخصائص الجسمية للإنسان، ويصل هذا الاختلاف إلى طبيعة علم الأنثروبولوجيا..فبينما يعني في أوروبا، الأنثروبولوجيا الفيزيقية، وينظر إلى علمي الآثار واللغويات كفرعين منفصلين، فإن الأمريكيين يستخدمون مصطلح (الأنثروبولوجيا أو الإثنوغرافيا) لوصف الإثنوغرافية الثقافية والتي يطلق عليها البريطانين **(عيسى الشماس: ٢٠١٥، ص ص. ١٠-١١).**

ففي انجلترا مثلا، يطلق مصطلح الأنثروبولوجيا، على دراسة الشعوب وكياناتها الاجتماعية، مع ميل خاص للتأكيد على دراسة الشعوب البدائية.أماّ في أمريكا، فيرى العلماء أن الانثروبولوجيا، هي علم دراسة الثقافات البشرية البدائية والمعاصرة، في حين أن علماء فرنسا يعنون بهذا المصطلح، دراسة الإنسان من الناحية الطبيعية، أي العضوية .

فعلم الانثروبولوجيا يركز اهتمامه على كائن واحد هو الإنسان، يحاول فهم أنواع الظاهرات المختلفة التي تؤثر فيه..في حين تركز العلوم الأخرى اهتمامها على أنواع محددة من الظاهرات أنّى وجدت في الطبيعة. وكان علم الأنثروبولوجيا، ومازال، يحاول فهم كل ما يمكن فهمه أو معرفته

عن طبيعة هذا المخلوق الغريب الذي يسير على قدمين، وكذلك فهم سلوكه الذي يفوق طبيعته الجسمية غرابة (**عيسى الشماس: ٢٠١٥، ص. ١١**).

ومع انّ علماء الأنثروبولوجيا، استطاعو استخدام بعض الأساليب التي طورتها العلوم الاجتماعية، فإنهم قلما اضطروا إلى انتظار تطور مثل هذه الأساليب... والواقع أن إسهامهم في تطور العلوم الاجتماعية، لا يقل شأنا عن إسهام هذه العلوم في تطور الأنثروبولوجيا.ولذلك ينقسم علم الأنثروبولوجيا إلى قسمين أساسين كبيرين: يبحث الأول في الإنسان، ويعرف بالأنثروبولوجيا الطبيعية، في حين يبحث الثاني في أعمال الإنسان، ويعرف بالانثروبولوجيا الثقافية / الحضارية (**رالف لينتون: ١٩٦٧، ص ص. ١٥-١٦**).

واستنادا إلى هذه المنطلقات، فقد حددت الباحثة الامريكية/ مارغريت ميد/ طبيعة علم الانثرووبولجيا وابعاده، بقولها: " إننا نصف الخصائص الإنسانية للجنس البشري (البيولوجية والثقافية) كأنساق مترابطة ومتغيرة، وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة،.

كما نهتم أيضا بوصف النظم الاجتماعية والتكنولوجية وتحليلها، اضافة إلى البحث في الادراك العقلي للإنسان وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته.وبصفة عامة، نسعى-نحن الانثروبولوجيين-لتفسير نتائج دراستنا والربط فيما بينها في اطار نظريات التطور، أو ضمن مفهوم الوحدة النفسية المشتركة بين البشر .

وتأسيسا على ما تقدم، فإن الانثروبولوجيا هي العلم الذي يدرس الإنسان، ويدرس أوجه الاختلاف بينه وبين الكائنات الحية الأخرى من جهة، وأوجه الشبه والاختلاف بين الانسان وأخيه الإنسان من جهة أخرى.

وفي الوقت ذاته، يدرس السلوك الإنساني ضمن الاطار الثقافي والاجتماعي بوجه عام.فلا تهتم الانثروبولوجيا بالانسان الفرد، كما تفعل الفيزيولوجيا أو علم النفس، وإنما تهتم بالإنيسان الذي يعيش في جماعات وأجناس، وتدرس الناس في أحداثهم وافعالهم الحياتية.

٢،٢ مفهوم الأنثروبولوجيا

١،٢،٢ تعريف الأنثروبولوجيا لغة:

الأنثروبولوجيا (Anthropology) هي مصطلح مركب من مقطعين باللغة اليونانية هما (أنثروبوس) (Anthropos)، وتعني "إنسان ولوجوس (Locos)، وتعني "علم" وبذلك يصبح معنى الأنثروبولوجيا من حيث اللفظ "علم الإنسان" أي العلم الذي يدرس الإنسان **(زينب حسن زيود: ٢٠١٥، ص.٢٣).**

٢،٢،٢ تعريف الأنثروبولوجيا إصطلاحا:

تعرف الأنثروبولوجيا، بأنها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة...ويقوم بأعمال متعددة، ويسلك سلوكا محددا **(سيدي دريس عمار: ٢٠١٥، ص. ١٩)**، وهو أيضا العلم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمدا على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل...ولذا يعتبر علم دراسة الإنسان (الأنثروبولوجيا) علما متطورا، يدرس الإنسان وسلوكه وأعماله **(أحمد أبو هلال: ١٩٧٤، ص. ٩).**

وتعرف الأنثروبولوجيا أيضا: بأنها علم الأناسة العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق، ينتمي إلى العالم الحيواني من جهة، ومن جهة أخرى أنه الوحيد من الأنواع الحيوانية كلها، الذي يصنع الثقافة ويبدعها، والمخلوق الذي يتميز عنها جميعا **(سيدي دريس عمار: ٢٠١٥، ص. ١٩).**

وتعرف الأنثروبولوجيا أيضا، بأنها العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق، ينتمي إلى عالم الحيواني من جهة، ومن جهة أخرى أنه الوحيد من الأنواع الحيوانية كلها، الذي يصنع الثقافة ويبدعها، والمخلوق الذي يتميز عنها جميعا **(علي الجباوي: ١٩٩٧، ص. ٩).**

كما تعرف الأنثروبولوجيا بصورة مختصرة وشاملة بأنها علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا **(شاكر سليم:١٩٨١، ص. ٥٦)**.أي أن الأنثروبولوجيا لا تدرس الإنسان ككائن وحيد بذاته، أو منعزل عن أبناء

جنسه، إنما تدرسه بوصفه كائنا اجتماعيا بطبعه، يحيا في مجتمع معين له ميزاته الخاصة في مكان وزمان معينين.

فالأنثروبولوجيا بوصفها دراسة للإنسان في أبعاده المختلفة، البيوفيزيائية والاجتماعية والثقافية، فهي علم شامل يجمع بين ميادين ومجالات متباينة ومختلفة بعضها عن بعض، اختلاف علم التشريح عن تاريخ تطوّر الجنس البشري والجماعات العرقية، وعن دراسة النظم الاجتماعية من سياسية واقتصادية وقرابية ودينية وقانونية، وما إليها...وكذلك عن الإبداع الإنساني في مجالات الثقافة المتنوعة التي تشمل: التراث الفكري وأنماط القيم وأنساق الفكر والإبداع الأدبي و الفني، بل والعادات والتقاليد ومظاهر السلوك في المجتمعات الإنسانية المختلفة، وإن كانت لا تزال تعطى عناية خاصة للمجتمعات التقليدية **(أحمد أبو زيد: ٢٠٠١، ص. ٧).**

وهذا يتوافق مع تعريف "تايلور" الذي يرى أنّ الأثروبولوجيا: هي الدراسة البيوثقافية المقارنة للإنسان إذ تحاول الكشف عن العلاقة بين المظاهر البيولوجية الموروثة للإنسان، وما يتلقاه من تعليم وتنشئة اجتماعية.وبهذا المعنى، تتناول الأنثروبولوجيا موضوعات مختلفة من العلوم والتخصصات التي تتعلق بالإنسان.

٣,٢ أهداف دراسة الأنثروبولوجيا

استناذا إلى مفهوم الانثروبولوجيا وطبيعتها، فإن دراستها تحقق مجموعة من الأهداف، يمكن حصرها في الأمور التالية **(زينب حسن زيود: ٢٠١٥، ص ص٣١-٣٢):**

- وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفا دقيقا، ذلك عن طريق معايشة الباحث المجموعة أو الجماعة المدروسة، وتسجيل كلّ ما يقوم به أفرادها من سلوكات في تعاملهم، في الحياة اليومية.
- ترقب السلوكات المقبلة للمجتمعات موضوع البحث، بغية تحديد العلاقات، التي يفترض إنشاؤها مع هذا المجتمع.

- حل النزاعات بين الشعوب.
- تبين مدى إمكانية تقبل مجتمع معين لثقافة معينة، من خلال معرفة كيفية عيشها وطرقه، وكيفية تفكيرها.
- تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة، في سياق الترتيب التطوري والحضاري العام للإنسان:(بدائي، زراعي، صناعي، معرفي، تكنولوجي).
- تحديد أصول التغير الذي يحدث للإنسان، وأساليب هذا التغير وعملياته بدقة علمية..وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني وربطه بالحاضر من خلال المقارنة، وايجاد عناصر التغيير المختلفة.
- استنتاج المؤشرات والتوقعات لاتجاه التغيير المحتمل، في الظواهر الإنسانية/ الحضارية التي تتم دراستها، وبالتصور لامكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية التي أجريت عليها الدراسة.

ويبدو أن التباين العرقي بين بني البشر، هو الخاصة البيولوجية التي تستأثر باهتمام العالم الحديث، اكثر من سائر الخواص البيولوجية الأخرى عند الإنسان.ويبذل المصنفون العرقيون محاولات دائبة للتوصل إلى تصنيف عرقي مثالي.فكان من نتائج انشغال علماء الانثروبولوجيا الجسمية بمشكلة العرق.

فالأصناف العرقية البشرية ظلت، وإلى عهد قريب، تعتبر طيانات ثابتة نسبيا، وقادرة على الصمودأمام تاثيرات البيئة او قوى التغير الفطرية.

ويلاحظ أن التطرف في تمجيد فكرة العرق، أدى إلى فرض عدد محدود من التصنيفات الصارمة على بني البشر الذين يمتازون بتنوع لا حد له، وأدى بالتالي إلى زج الأفراد في هذه التصنيفات، بصورة تطمس صفاتهم الأصلية الخاصة **(رالف لينتون: ١٩٦٧، ص. ٤٦) :**

إن اهتمام الأنثروبولوجيا بدراسة المجتمعات الإنسانية كلها، وعلى المستويات الحضارية كافة، يعتبر منطلقا أساسيا في فلسفة علم الانثروبولوجيا وأهدافها.ولكن على الرغم من التوسع في مجال الدراسات الانثروبولوجياة، فما زالت الاهتمامات التقليدية للانثروبولوجيا، ولا سيما وصف الثافات وأسلوب حياة المجتمعات، ودراسة اللغات واللهجات المحلية وأثار ما قبل التاريخ، تؤكد ولا شك، تفرد الانثروبولوجيا عمّا عداها من العلوم الأخرى، ولا سيما علم الاجتماع.

ومن هنا كانت أهمية الدراسات الأنثروبولوجية في تحديد صفات الكائنات البشرية، وايجاد القواسم المشتركة فيما بينها، بعيدا عن التعصب والأحكام المسبقة التي لا تستند إلى أصول علمية.

وإذا كان علم الأنثروبولوجيا، بدراساته المختلفة، قد استطاع أن ينجح في إثبات الكثير من الظواهر الخاصة بنشأة الإنسان وطبيعته، ومراحل تطوره الثقافي/ الحضاري، فإن أهم ما أثبته هو، أن الشعوب البشرية بأجناسها المتعددة، تتشابه إلى حد التطابق في طبيعتها الأساسية، ولا سيما في النواحي العضوية والحيوية.

الفصل الثاني

السيميولوجيا بين النشأة والمفهوم

تمهيد

لابد لكل علم أو نظرية أو منهج كان من أن يكون له امتداد تاريخي ينشأ ويتطور مستقيا جذوره وماء الحياة مما يحيط به من علوم أخرى، إذ لا يستطيع علم ما أن ينشأ منفردا عن غيره من العلوم، بل في ظلها وتحت رعايتها ينشأ وينمو.

و السيميولوجيا كغيرها من المناهج والنظريات كان لها مسيرة حياة طويلة بدأت بوادرها منذ عهد اليونان والإغريق، وامتدت لتكتمل صورتها وتتضح أسسها العلمية في القرن العشرين.

ولم تقتصر السيميولوجيا على لغة دون أخرى بل تجدها قد ظهرت عند العرب و المسلمين كما ظهرت عند الغرب، ولكنها اتخذت مسيرة مختلفة للنمو عند كل منهما، ولكنها نبتت من أصل واحد-أرجعه البعض إلى الإغريق-ثم امتدتا لتلتقيا على بساط النقد الأدبي الحديث في العصر الحالي.

وبهذا فقد أصبح المنهج السيميولوجي تصورا ونظرية و"**علما**" لا يمكن الاستغناء عنه لما أظهر عند الكثير من الدارسين والباحثين من نجاعة تحليليه وكفاءته في شتى التخصصات وخاصة في ميدان علوم الإعلام والاتصال، وعلم الاجتماع اللغوي.

وللامساك بحدود السيميولوجيا وجوانبها كان لابد من تتبع مراحل تطور السيميولوجيا عند العرب والغرب لمعرفة أصولها وامتدادها في الفكر الإنساني .

إذن فكيف نشأت وتطورت السيميولوجيا؟ وما المقصود بها؟ .

١. نشأة وتطور السيميولوجيا

١،١ المرحلة الأولى

يعود تاريخ السيميولوجيا إلى ٢٠٠٠ سنة مضت كما يقول "أمبرطو إيكو(*)(مؤلف رواية اسم الوردة) وهو يتكلم عن السيميولوجيا ومنه فعلم السيميولوجيا ليس علما وليد العصر الحديث كما يزعم بعضهم، وفي مقدمتهم الغرب، حيث استعمل في الأصل للدلالة على علم في الطب وموضوعه دراسة العلامة الدالة على المرض، ولا سيما في التراث الإغريقي حيث عدت السيميوطيقا جزءا لا يتجزأ من الطب **(ميشال أريفيه وآخرون: ١٩٩٠،ص.٢١).**

وقد وظف "أفلاطون" لفظ(Sémiotique) للدلالة على فن الإقناع وهذا ما أورده في كتابه وأكد أن للأشياء جوهرا ثابتا وأن الكلمة أداة للتوصيل، وبذلك يكون بين الكلمة ومعناها تلاءم طبيعي بين الدال والمدلول **(http://www.arabicnadwah.com)**، إلا أن أرسطو جعل هناك فرقا بين العلامة اللسانية و (semeion)، حيث يجعل العلامة قضية برهانية إما ضرورية وإما احتمالية من خلال إنتاج شيء على شيء.

فالعلامة اللسانية في نظر أرسطو تفتقر إلى القدرة على الاستدلال، بينما تمتلك السيميون القدرة التي تؤهلها للانخراط في العمليات الاستدلالية **(أحمد يوسف:٢٠٠٥، ص. ٢١).**

ابتدأ "أرسطو" بوادر التفكير السيميولوجي من خلال إشارته إلى أن الإنسان قد تحرر من دنيا الحيوانية، وسما بفكره عنها حينما لجأ إلى الترميز واستخدام اللغة في التعبير عن مراده بعلامات بسيطة أخذت في التطور بعد

(*) يرى إيكو أيضا أن الرواقيين هم أصلا من العمال الأجانب في أثينا وبالتالي فهم دخلاء عليها، فأصلهم الحقيقي يعود إلى الكنعانيين الفينيقيين القادمين من أرض كنعان**(ميشال أريفيه وآخرون: ١٩٩٠،ص.٢١).**

ذلك، حيث استخدم اللغة والكلام للتواصل الاجتماعي بالتواطؤ على استخدام دلالات هذه الرموز المستخدمة، وبذلك شكلت هذه الأفكار البدايات الأولى للسانيات **(سعيد بنكراد: ٢٠٠٧، ص. ١٣).**

وقد لاحظ "أرسطو" في تتبعه للكلام فروقا بين الكلام والأشياء والأفكار، فقال بأن الأشياء هو ما تدركه الحواس، بينما الأفكار فهي أداة معرفة الأشياء، ويبقى الكلام عبارة عن أصوات متمفصلة في وحدات تخبر عن الأفكار.وبذلك يكون له السبق في تحديد فحوى التوسط الإلزامي بين الحدود المكونة للعلامة، وأضاف أرسطو إلى العناصر الثلاثة السابقة عنصر الكتابة، وكأن عناصره متمثلة في دال ومدلول ومؤول، هي أشياء وكلام وأفكار **(سعيد بنكراد:٢٠٠٧، ص. ١٣).**

ثم توالت اهتمامات الرواقيين الذين أسسوا لفكر سيميولوجي، فهم أول من قال بأن للعلامة دالا ومدلولا(signifiant-signifie) و لكنهم لم يقتصروا في علاماتهم على العلامات اللسانية بل تجاوزها إلى شتى مناحي الحياة الاجتماعية **(سائدة حسين محمد العمري: ٢٠٠٩، ص .٦٠).**

فلقد جاء "الرواقيون" بعد أرسطو بقرن من الزمان ليقدموا في الفلسفة اليونانية صيغة جديدة يتحدد من خلالها اللسان في الاشتغال والوجود والمكونات، فقد ميزوا بين ثلاثة عناصر في وجود كل علامة: فالعلامة تجمع بين ثلاثة عناصر: مضمون العلامة، والعلامة، وما هو موجود فعليا...وميزوا بعد ذلك بين العناصر النفسية وغير النفسية، فالصوت والشيء محسوسان، أما مضمون العلامة، وهو ما يتطابق مع المدلول السوسيري، فنفسي لأنه صورة مجردة عن الشيء **(سعيد بنكراد: ٢٠٠٧، ص .١٤).**

وهؤلاء إذن حسب "إيكو اكتشفوا" أن الاختلاف في أصوات اللغات وحروفها، أي شكلها الخارجي الذي يدعى بالدال ولكن هذه الاختلافات الشكلية الظاهرية بين اللغات البشرية، توجد بين مرئيات ومدلولات متماثلة تقريبا، ويصل امبريطو إيكو إلى أن هؤلاء الرواقيين(أي الذين لا يتكلمون اليونانية

كلغة أم) قد سبقوا دي سوسير" في اكتشافات الفرق بين الدال والمدلول، فهولاء الدخلاء كانوا يمتلكون تجربة لا يمتلكها اليونانيون، أي تجربة الازدواج الثقافي والحضاري واللغوي من خلال ثلاث لغات: الكنعانية، و الأمازيغية واليونانية **(ميشال آريفيه وآخرون: ١٩٩٠، ص.٢٢).**

٢،١ المرحلة الثانية

أما المرحلة الثانية فهي مرحلة القديس الجزائري –أوغسطين- حسب إيكو- فهو أول من طرح سؤال: ماذا يعني أن نفسر ونؤول؟ وهكذا راح يشكل نظرية التأويل النصي (تأويل النصوص المقدسة)، وبهذا تصبح أهمية مساهمته تكمن في تأكيده على إطار الاتصال والتواصل عند معالجته لموضوع العلامة **(ميشال آريفيه وآخرون: ١٩٩٠، ص.٢٣).**

فقد اعتبر أوغسطين اللغة "أداة لاحقة للفكر ولا تقوم إلا بالكشف عن مكنونه من خلال ألفاظ بعينها ويلاحظ أيضا أن الفكر سابق في الوجود على الكلمات المنطوقة منها أو المتخيلة فقط، فالشخص يمكن أن يفهم كلمة قبل النطق بها، وقبل أن تتشكل الصور الصوتية الضرورية لذلك إن هذه الكلمة لا تنتمي إلى أي لسان، إلى أي من تلك التي نطلق عليها الألسنية الإثنية...فعندما ندرك فحوى فكرة الشيء فإن اللفظ الدال سيكون لفظا نابعا من القلب لا باليونانية ولا باللاتينية ولا بأي لغة أخرى **(سعيد بنكراد،: ٢٠٠٧، ص. ١٤).**

ولما جعل السيميائيون منهجهم قائما على الإحالة والتأويل من دال إلى مدلول كان أوغسطين قد سبقهم في ذلك بسنوات حيث يرتكز مفهوم أوغسطين للعلامة على الكلمة أو على الأصح إنه يتجه نحو الاسم، ويتوزع على علاقته علامة/مفهوم، وحتى يشتغل الشيء بوصفه علامة ينبغي للمؤول أن يدرك بأنه علامة **(أحمد يوسف: ٢٠٠٥، ص. ٢٥).**

وتفسير ذلك أن أي شيء في الوجود وإن كان دالا بذاته على مفهوم، فإنه يستدعي الفكر لمفاهيم أخرى منبثقة، بيد انه يقدم حدا واضحا للعلامة في علم الجدل فما اسماه بالكلمة هو بمعنى الدال والصوت يقابل من جهة (dictio)

أي الكلمة وأثرها في الذهن-وdictible –المفهوم- فالشيء لا يصبح علامة ما لم يحل على شيء آخر **(أحمد يوسف: ٢٠٠٥، ص. ٢٥).**

والذي دعا أوغسطين إلى التوصل لهذه النتيجة من خلال تفسيره مسيرة انتقال الهداية والمعرفة من الله إلى العبد حيث "هناك أولا سلطان الله الذي لا تحده حدود، وهناك ثانيا معرفة محايثة مرتبطة بملكوته، وهناك أداة للتوسيط توصل هذه المعرفة إلى عباده في الأرض، إنّ هذه الأداة هي اللفظ أي اللغة، والتوسط يتم من خلال سيرورة تتمفصل في الألفاظ التالية: لفظ مفكر فيه خارج أي لسان، واللفظ الداخلي، أي لفظ القلب الذي تحول إلى لفظ داخلي مفكر فيه من خلال لسان اثني، ثم يأتي في المرتبة الثالثة اللفظ الخارجي أي اللفظ الداخلي المجسد من خلال الكلام، وهو بذلك لفظ محسوس **(سعيد بنكراد،: ٢٠٠٧، ص. ١٤).**

وقد صنف أوغسطين العلامات إلى لسانية وغير لسانية وأعطى "الامتياز للعلامات المحمولة في الكلمات لكونها قادرة على تمثيل العلامات البصرية والسمعية وغيرها، نظرا لتوافر الكلام على القدرة المنطقية والطاقة الحجاجية، وإن تعددت الألسن لدى البشر فالقواعد واحدة في كل اللغات من حيث جوهرها **(أحمد يوسف:٢٠٠٥، ص. ٢٦).**

وربما كان ذلك البذرة التي انطلق منها "دي سوسير" في تفضيله النسق اللساني عن باقي الأنساق السيميولوجية الأخرى.

٣,١ المرحلة الثالثة

أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة العصور الوسطى، وكانت فترة مهمة من فترات التركيز على العلامات واللغة، واتساع استعمالها، وتطورت فيها نظرية العلامة تطورا ملحوظا حتى باتت دعامة أساسية في التفكير اللغوي **(ميشال آريفيه وآخرون: ١٩٩٠، ص. ٢٢).**

وممن اشتهر بالتفكير السيميولوجي في ذلك الوقت: روجر بيكون، وغيوم دو أوكام، وجون دونس سكوت الذي كان له كبير الأثر في السيميوطيقا

بيرس، حيث وسع سكوت مجال التأمل الفلسفي، ولم يقبل أن تحده الحدود، فكان يصف الوجود المعقول الذي يمكن أن يصل إليه العقل البشري بأداة الإشارة **(أحمد يوسف: ٢٠٠٥، ص. ٢٩).**

هذا وكان لهذه المرحلة من مراحل تطور السيميولوجيا أثر كبير في كشف معالمها المنهجية، حيث كانت فلسفتهم تقترب كثيرا من تفكير اللغة الذهبية على اعتبار أنها نسق سيميولوجي قائم على المواضعة، إلى جانب أن العلامة قد اكتسبت في هذه الفترة الطابع الرمزي، وبهذا أصبح لابد للعلامة اللسانية من موضوع محدد واضح حتى يتسنى لها أن تكون دالة **(أحمد يوسف: ٢٠٠٥، ص. ٣٠).**

وإذا حاولنا استقراء تراثنا العربي، وجدناه حافلا بالدراسات المنصبة على دراسة الأنساق الدالة، وكشف قوانينها أو ما أسموه بعلم "أسرار الحروف" أي علم "السيمياء" ولاسيما تلك المجهودات القيمة التي بذلها مفكرونا من مناطقة وبلاغيين وفلاسفة وأصوليين...الخ أمثال (جابر بن حيان والحاتمي وابن سينا والفارابي والغزالي وابن خلدون والجرجاني و..........وغيرهم) **(http://www.merbad.net)**.

إذ عرفت السيميائية عند العرب إذن بأنها علم السحر والكهانة، ويقول صديق القنوجي في كتابه أبجد العلوم يعرف بأن السيمياء هي "ما هو غير حقيقي من السحر **(صديق القنوجي: ١٩٨٨، ص .٣٩٢).**

فالتصقت عند العرب بعلوم السحر والطلمسات التي تعتمد أسرار الحروف والرموز والتخطيطات الدالة، وأحيانا بالكيمياء، وفي بعض الأحيان بالفلسفة والمنطق الذي يجرد المعاني في سلاسل منتظمة ليصل إلى الحقائق.ولعل ممن اتهم بأنه كبير السحرة نظرا لمعرفته بالسيمياء "جابر بن حيان التوحيدي"، نظرا لأنه عالم الكيمياء المشهور، وقد كانت السيمياء فرعا من فروع الكيمياء وقد سميت السيمياء بكمياء القرون الوسطى، وأطلق بعضهم عليها لفظ الخيمياء **(عبد الرحمان ابن خلدون: ٢٠٠١، ص. ٤٩٥).**

بلغ "ابن حيان" مرحلة متقدمة في علم الكيمياء، وكان خياله العلمي الطموح يفضي به إلى أن ينقل المعادن من حالة على حالة، إذ تطلع إلى تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن ثمينة، كان ذلك حلمه الذي سعى إليه بكل ما يملك، وأنفق فيه جهدا ووقتا كبيرين، فتحول الطموح عنده من عالم التحقيق إلى عالم التخيل والوهم، فوقع في طلب المستحيل، وتحول عنده علم الكيمياء إلى علم السيمياء **(عبد الرحمان ابن خلدون: ٢٠٠١، ص. ٤٩٥).**

وإلى جانب "ابن حيان" فقد عرف كثير من العلماء الذين نبذهم أهلوهم لما كان لهم من يد طولى في السيمياء، منهم على سبيل التمثيل لا الحصر محمد بن محمد اللثامي المعروف بابي الطواجن، وفي حلب الشهاب السهروردي الفيلسوف و أيضا علي بن أبي بكر الهروي، وموسى بن يونس العلامة كمال الدين أبو الفتح الموصلي الشافعي**(شمس الدين الذهبي: ١٩٩٨، ص ص. ٢٨٣-٢٨٤).**ولكن الملاحظ عند هؤلاء جميعا أنهم كانوا من أهل الفلسفة والمنطق.

ولم يتوقف الحال في السيميائية على السحر والكهانة عند جابر بن حيان وغيره، بل تجد كثيرا من العلماء المسلمين وخاصة الفلاسفة منهم الذين تأثروا بالمدرسة الرواقية قد نحوا بالسيميولوجيا إلى جانب الفلسفي، وإن أغرقوا في المنطق والجدل، من أمثلة ابن سينا وابن رشد والفارابي والغزالي في تناولهم لموضوع الدلالة، حيث تناولوا الألفاظ وما لها من أثر نفسي وهو ما يسمونه بالصورة الذهنية التي لا تبتعد عما نادى به "دي سوسير"، واعتبروا أيضا أن الكتابة دالة على الألفاظ، التي بدورها تدل على المعاني **(عادل فاخوري: ١٩٨٥، ص. ٧).**

وبناءا على ما يراه ابن سينا من أن الكتابة دالة على الألفاظ، والألفاظ دالة على المعاني، وبذلك يكون ثلاث دوال هي: الخط، واللفظ، والمعنى، و إلى جانبها ثلاث مدلولات هي: اللفظ، والمعنى، والأمر الخارجي**(سائدة حسين محمد العمري : ٢٠٠٩، ص. ٥٥).**

وقد صنف البعض العلاقة بين (الخط واللفظ) وبين (اللفظ والمعنى) بأنها دلالة خارجية، ويقصد بها الدلالة الوضعية أو العرفية أي الدلالة الرمزية،

بينما العلاقة بين (المعنى والأمر الخارجي) فهي دلالة طبيعية وتوافق الأيقونية عند بيرس(**عادل فاخوري: ١٩٨٥، ص. ٨**).

ومن هذا المنطلق اللفظي لدى الفلاسفة تجد بعض التقارب مع السيمياء الحديثة، حيث المساهمة التي قدمها المناطقة والأصوليون والبلاغيون العرب مساهمة مهمة في علم الدلالة انطلاقا من المفاهيم اليونانية، وقد كانت محصورة ضمن إطار الدلالة على كل أصناف العلامات.

ومن الواضح أنهم اعتمدوا الدلالة اللفظية نموذجا أساسيا.كذلك فأقسام العلامة عند العرب قريبة من تقسيم بيرس.وتبقى أبحاثهم التي تتناول تعيين نوعية دلالة الألفاظ المركبة أو بوجه عام العلامات المركبة وتحليل الدلالة المؤلفة من تسلسل عدة توابع دلالية، مدخلا جديدا ذا منفعة قصوى للسيمياء المعاصرة (**سائدة حسين محمد العمري: ٢٠٠٩، ص. ٥٦**).

تبدأ بوادر هذه المرحلة عند النقاد العرب المسلمين، حيث تجد السيميائية لها مكانا في كتاباتهم وطرائق تحليلهم للكتابات الأدبية.فقد أورد الجاحظ في البيان والتبيين قوله : "عند العرب العلامة وأخذ المخصرة من السيما" (**عثمان الجاحظ: دون سنة، ص. ٤٨**).

أي من علامات الخطيب التي يعرف بها، وقال أيضا: "وكانت سيماء أهل الحرم إذا خرجوا من الحرم إلى الحل في غير الأشهر الحرم أن يتقلدوا القلائد يعلقوا عليهم العلائق (**عثمان الجاحظ: دون سنة، ص. ٤٨**).

فالظاهر من كلامه أنه قد استخدم لفظة سيمياء للدلالة على العلامات فقط لا غير وإن لم يتعد في استخدامه لها كونها علامات.إلا أنّ هذا الحال لم يبق كما هو، فبعد أن جاء الجرجاني الشغف بتقصي الألفاظ ومعانيها المتخفية، أشار إلى إستخدام الإشارات والرموز والإيماءات للدلالة على معان خفية لا تقصد من ذات اللفظ، وإن لم يشر الجرجاني صراحة إلى المنهج السيميائي في استكشاف هذه الدلالات ورموزها الدالة عليها.

يقول الجرجاني في ذلك :"ولم أزلْ منذ خدمتُ العلم انظر فيما قاله العلماءُ في معنى الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة وفي بيان المغزى من هذه العبارات وتفسير المُراد بها فأجد بعض ذلك كالرمز والإيماء والإشارة في خفاء.وبعضه كالتنبيه على مكان الخبيء ليطلب وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج (**عبد القاهر الجرجاني: ١٩٩٩، ص ٤٦**).

ولم يقتصر الجرجاني في كلامه السابق على الإشارة إلى وجود دوال مرتبطة بمدلولات بعيدة بل عقب على ذلك بأن هناك طرقا وقواعد لتقصي هذه الدلالات.

وإنما دعا الجرجاني إلى التعليق الشديد بخفايا المعاني، وطرق الالتواء في الألفاظ اعتقاده "أن الصفة إذا لم تأتك مصرحا بذكرها مكشوفا عن وجهها ولكن مدلولا بغيرها كان ذلك أفخم لشأنها وألطف لمكانها.كذلك إثباتك الصفة للشيء تثبيتها له إذا لم تلقه إلى السامع صريحا وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة كان له من الفضل والمزية ومن الحسن والرونق ما لا يقل قليلُه لا يجهل موضع الفضيلة فيه (**عبد القاهر الجرجاني: ١٩٩٩، ص. ٢٣٥**).

وقد استخلص الجرجاني معتقداته تلك من طول تقصي لكلام العرب حيث قال:" والأمر في علم الفصاحة بالضد من هذا-التصريح- فإنك إذا قرأت ما قاله العلماء فيه وجدت جله أو كلّه رمزا ووحيا وكناية وتعريضا وإيماء إلى الغرض من وجه لا يفطن له إلا من غلغل الفكر وأدق النظر(**عبد القاهر الجرجاني: ١٩٩٩، ص. ٢٣٥**).

فالملاحظ على ذلك أن بوادر المنهج السيميائي قد بدأت بالتفتح على يد العلماء العرب، فهي تستمد منهم جذورها النقدية الحديثة وتصبغها بطابع فلسفي منطقي جديد، إذ تحاول ألا تقتصر على الإشارات والرموز والأيقونات، بل تجعلها عناصر ضمن عالم كامل من العلاقات التي تقوم السيميائية باستكشافه واستنطاق مكنونه (**سائدة حسين محمد العمري: ٢٠٠٩، ص. ٥٧**).

فسوسير في سيميولوجيته لم يكن ببعيد عن أفكار الجرجاني والجاحظ، وإن صبغ نظريته بالطابع الاجتماعي، وهل كان ذلك بمنأى عنهما؟ أو قصورا لديهما؟ بالطبع لا، ولكن إن هي إلا بديهيات تجاوزها ربما لعلمهم والمتلقين انه لا يمكن لخطاب ما أن يحيا في غير الوسط الاجتماعي الذي يكسبه المعنى والإيحاء.

بيد أن مثل هذه الآراء السيميولوجية التي شملتها كل هذه المجالات المعرفية لم تكن منهجية أو مؤسسة على أسس متينة، ولم تحاول يوما أن تؤسس نظرية متماسكة تؤطرها أو تحدد موضوع دراستها أو اختيار الأدوات والمصطلحات الإجرائية الدقيقة التي تقوم عليها.

وبالتالي لم تفكر في استقلالية هذا العلم، بل ظلت هذه الآراء السيميولوجية مضطربة تجرفها وتتقاذفها التصورات الإيديولوجية والسوسيولوجية والثقافية، ويقول مبارك حنون في هذا الصدد :" إلا أن مثل تلك الآراء السيميولوجية التي احتضنتها مجالات معرفية عديدة، بقيت معزولة عن بعضها البعض، ومفتقدة لبنية نظرية تؤطرها كلها **(مبارك حنون:** ١٩٨٨، **ص.** ٨**).**

١،٤ المرحلة الرابعة

ثم جاءت المرحلة الرابعة، حيث تبدأ هذه المرحلة مع بداية القرن السابع عشر حيث المفكرين الألمان والانجليز، ومنهم **"جون لوك"** الذي استعمل مصطلح سيميوطيقا (sémiotics) في أحد مقالاته ويعني بها "العلم الذي يهتم بدراسة الطرق والوسائط التي يحصل من خلالها على معرفة نظام الفلسفة والأخلاق وتوصيل معرفتهما **(ميشال آريفيه وآخرون:** ١٩٩٠، **ص.** ٢٢**).**ويكمن هذا العلم في الاهتمام بطبيعة العلامات التي يستعملها العقل بغية فهم الأشياء أو نقل معرفته إلى الآخرين.

ظهر في القرن التالي-القرن الثامن عشر- الموسوعة والموسوعيين مثل أعمال فيكو وديدرو وكوندياك، و مع بداية النهضة الأوروبية نصادف

الفيلسوف "ليبنتز Leibnitz " الذي حاول أن يبحث عن نحو كلي للدلائل، وعن ضرورة وجود لغة رياضية شكلية تنطبق على كل طريقة في التفكير"(**أنور المرتجي:١٩٨٧، ص. ٣)**.

فقد تأثر هؤلاء كثيرا بفلسفة ديكارت ومالمبراش، مما جعل "جون لوك " يعتقد بأن الفكر مثل اللغة يتصف بالاعتباطية، وقد كانت له قصبات السبق في ميلاد السيميائية تصورا ومصطلحا، حيث إنه حاول أن يقترب من إشكالية اللغة، ومن ثم الانخراط في الإشكالية السيميائية، حيث راهن على مبدأ العمومية، فهو الشرط الأساس للتواصل الذي يضمن فرادة الكائنات الإنسانية، وتاليا يفسر السيرورات السيميائية التي تصطنعها ملكة الفهم البشري **(أحمد يوسف: ٢٠٠٥، ص. ٤٦)**.

تبلورت في القرن الثامن عشر سيميولوجيا مثالية مع بركلي، و سيميولوجيا تجريبية مليئة بروح الشك مع هيوم، بينما سعى "كانت" للتخفيف من هذا الغواء، وقد كان التفكير السيميولوجي ينطلق من متصورات غائية متعالية، بيد أنها كانت تطرح مشروعها على أساس قاعدة اللغة وبخاصة لدى "هوبز" و"جون لوك،" في الوقت الذي كان فيه إيديولوجيو القرن الثامن عشر يرون بأن المسكن الحقيقي للإيديولوجية المثالية هو العلامة **(أحمد يوسف: ٢٠٠٥، ص. ٤٦)**.

ورغم هذا التقدم الكبير في منهجية السيميولوجيا في هذه المرحلة إلا أنها كانت تعاني من الاختلاف بين النزعتين الطبيعية والعقلية، نظرا لكثرة واختلاف أصحابها.

١,٥ المرحلة الخامسة

أما المرحلة الخامسة والتي يتفق جل الباحثين على أنها المرحلة الحاسمة في التحديد العلمي للسيميولوجيا، فقد حانت اللحظة الحاسمة لتتجلى السيميولوجيا بثوبها البراق نظرية ومنهجا لغويا ونقديا قائما على أسس صحيحة وخطوات منهجية سليمة منذ مطلع القرن العشرين.

لتستعيد مسارها الصحيح بعيدا عن البرجوازية وفلسفة هيجل، والنزعة التجريبية والوضعية والمنطقية، وتمثلت في البحث عن أنماط العلامات وتصنيفاتها وحدودها، حيث أصبح العلم يسائل هذه المتصورات السيميولوجية للغة حتى يتسنى لها الحديث عن علمية بقية الأنساق السيميولوجية الدالة التي لا ترتكز على العلامة اللسانية بغية إيجاد إطار تنظيمي لها، والوقوف على ابدالاتها في ظل تحولات النماذج في حركة تاريخ المجتمع **(سائدة حسين محمد العمري: ٢٠٠٩، ص. ٦٣).**

و هي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالنموذج اللساني البنيوي الذي أرسى دعائمه وأسسه العالم السويسري" فرديناند دي سوسير(**Saussure Ferdinand de**)"في فرنسا في كتابه" محاضرات في اللسانيات العامة" وذلك منذ القطيعة الإبيستمولوجية التي أحدثها في ميدان الدراسات اللسانية إن جاز التعبير مع فقه اللغة واللسانيات التاريخية، وقد جعلت هذه القطيعة اللسانيات العلم الشامل والرائد الذي تستفيد منه مختلف المدارس والمشارب المعرفية كالنقد الأدبي والأسلوبية والتحليل النفسي وعلم الاجتماع بالإضافة إلى جهود الوظيفيين في اللسانيات والشكلانيين الروس في الشعرية.

كما ارتبط هذا العلم من جهة أخرى بالمنطق على يد الفيلسوف الأمريكي" (**Charles Sanders Peirce**) " (١٨٣٩-١٩١٤) في أمريكا، لكن على الرغم من ظهورهما في مرحلة زمنية متقاربة، فإن بحث كل منهما استقل وانفصل عن الآخر انفصالا تاما إلى حد ما، فالأول بشر في "محاضراته "بـ ظهور علم جديد سماه السيميولوجيا(Sémiologie) سيهتم بدراسة الدلائل أو العلامات في قلب الحياة الاجتماعية.

ولن يعدو أن يكون موضوعه الرئيس مجموعة الأنساق القائمة على اعتباطية الدلالة على حد تعبير "دي سوسير(F.de Saussure)" الذي يقول كذلك في هذا الصدد:" ونستطيع إذا- أن نتصوّر علما يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، علما قد يشكل فرعا من علم النفس الاجتماعي وبالتالي فرعا من علم النفس العام، وسوف نسمي هذا العلم بالسيميولوجيا، ومن شأن هذا العلم

أن يطلعنا على كافة هذه العلامات وعلى القوانين التي تحكمها...وإن اللسانيات ليست سوى فرع من هذا العلم العام..."**(مارسيلو داسكال:١٩٨٧، ص.١٥).**

وقد تزامن هذا التبشير مع مجهودات" بيرس **(Ch. Peirce)**" الذي نحا منحى فلسفيا منطقيا رياضيا، وأطلق على هذا العلم الذي كان يهتم به بـ "السيميوطيقا"" (Sémiotique) واعتقد تبعا لهذا أن النشاط الإنساني نشاط سيميولوجي في مختلف مظاهره وتجلياته، ويعد هذا العلم في نظره إطارا مرجعيا يشمل كل الدراسات، يقول وهو بصدد تحديد المجال السيميولوجي العام الذي يتبناه : " إنه لم يكن باستطاعتي يوما ما دراسة أي شيء- رياضيات كان أم أخلاقا أو ميتافيزيقا أو جاذبية أو ديناميكا حرارية أو بصريات أو كيمياء أو تشريحا مقارنا أو فلكا أو علم نفس أو علم صوت، أو اقتصاد أو تاريخ ... دون أن تكون هذه الدراسة سيميولوجية") **(Todorov :1972 ;p.11)**.

إذن، فالسيميوطيقا حسب "بيرس (Ch.S . Peirce) " مذهب الطبيعة الجوهرية والتنوعات الأساسية للدلالة الممكنة " **(رولان بارت:١٩٨٦،ص.٢٠)،** بمعنى نظرية عامة للعلامات وتمفصلاتها في الفكر الإنساني، ثم إنها صفة لنظرية عامة للعلامات والأنساق الدلالية في كافة أشكالها... وبالتالي، تعد سيميولوجيا "بيرس (Ch.S . Peirce) "مطابقة لعلم المنطق، ويضيف "أمبرطو إيكو Umberto Eco" في هذا الخصوص عن "بيرس" محددا مضمون علمه بكل دقة ووضوح وعلاقته بعلم المنطق:"

لنستمع الآن إلى بيرس وهو يقول: "إنني حسب علمي الرائد أو بالأحرى أول من ارتاد هذا الموضوع المتمثل في تفسير وكشف ما سميته السيميوطيقا (Sémiotique) أي نظرية الطبيعة الجوهرية لأي سيرورة دلالية، إن هذه السيميوطيقا التي يطلق عليها في موضع آخر" المنطق" تعرض نفسها كنظرية للعلامات **(إدريس بلمليح: ١٩٨٤، ص.١١١).**

كما ظهرت في هذه المرحلة جوليا كريستيفا التي بحثت في لغة التواصل المباشرة الموضوعة من قبل اللسانيات والتي تبدو أكثر الأنساق

الدلالية في الإنتاج، وقد شاركت في تأسيس مجلة عنيت باللسانيات والسيميائيات.غير أن الأنساق السيميائية لم تقتصر في هذا العصر على النموذج اللساني، بل تعدته إلى نماذج كثيرة جدا، مثل لغة المسرح والإيماءات وأنماط الخطابات والتصوير والرسم والعمارة وغير ذلك، ولكن كريستيفا اعتبرت جميع هذه الأنساق الدالة لغات لكونها تمثل مرسلات لها باعثون ومستقبلون يمتلكون أسننا مشتركة، وخاصة وإن لم تخضع لمواصفات قواعد اللغة اللفظية **(ميشال آريفيه وآخرون: ١٩٩٠، ص. ٥٠).**

ويؤكد "دي سوسير" عالم اللسانيات ما ذهبت إليه كريستيفا حيث إنه منح الامتياز للسان بوصفه نسقا سيميولوجيا دالا، لأنه من بين أكثر الأنساق التعبيرية تعقيدا وأوسعها انتشارا هي أيضا أشدها تمثيلا للخصائص السيميولوجية، وعليه تستطيع اللسانيات أن تصبح الأنموذج العام لكل السيميائيات (**أحمد يوسف: ٢٠٠٥، ص. 52).**

و يعتبر "رولان بارت" تلميذ سوسير خير من يمثل منهج البحث السيميولوجي، إذ نهج به المنهج التطبيقي فهو يرى أن البحث السيميولوجي هو دراسة الأنظمة والأنساق الدالة وجميع الوقائع والأشكال الرمزية والأنظمة اللغوية تدل سواء باللغة أو بغيرها. وبالتالي يفترض تطبيق المقاييس اللسانية على الوقائع غير اللفظية، إلى جانب اللفظية لبناء الطرح الدلالي.وبذلك يؤكد على وجود أنساق غير لفظية حيث التواصل غير الإرادي، ولكن البعد الدلالي موجود بدرجة كبيرة وتعتبر اللغة الوسيلة الوحيدة التي تجعل هذه الأنساق والأشياء غير اللفظية دالة (**فانسا جوف: ٢٠٠٤، ص ص. ٣٥-٣٨).**

وبناءا على هذا نجد أن للسيميولوجيا أو السيميوطيقا تفاعلات كثيرة مع معارف وحقول أخرى داخل المنظومة الفكرية والعلمية والمنهجية، فلقد ارتبط هذا العلم في نشأته بالفلسفة واللسانيات وعلم النفس والاجتماع والمنطق و الظاهراتية (الفينومينولوجيا) علاوة على ارتباطها بدراسة الأنثروبولوجيا كتحليل الأساطير والأنساق الثقافية غير اللفظية، كما ترتبط منهجيا بدراسة

الأدب (الشعرية والنحو والبلاغة) والفنون اللفظية والبصرية كالموسيقى والفنون التشكيلية والمسرح والسينما ...الخ.

أما عن ظهور السيميولوجيا في العالم العربي فقد ظهرت عن طريق الترجمة والمثاقفة والاطلاع على الإنتاجات المنشورة في أوربا والتلمذة على أساتذة السيميولوجيا في جامعات الغرب.

وقد بدأت السيميولوجيا في دول المغرب العربي أولا، وبعض الأقطار العربية الأخرى ثانيا، عبر محاضرات الأساتذة منذ الثمانينيات عن طريق نشر كتب ودراسات ومقالات تعريفية بالسيميولوجيا (مبارك حنون، محمد السرغيني، سمير المرزوقي، جميل شاكر، عواد علي، صلاح فضل، جميل حمداوي، فريال جبوري غزول، محمود ابراقن، قدور عبد الله ثاني...الخ)، أو عن طريق الترجمة (محمد البكري- أنطوان أبي زيد- عبد الرحمن بوعلي- سعيد بنكراد...الخ)، وإنجاز أعمال تطبيقية في شكل كتب (محمد مفتاح، سعيد بنكراد- محمد السرغيني- سامي سويدان...الخ)، أو مقالات (انظر مجلة علامات ودراسات أدبية لسانية سيميولوجية بالمغرب ومجلة عالم الفكر الكويتية وعلامات في النقد السعودية ومجلة فصول المصرية-...)، أو ملتقيات علمية في مختلف الجامعات العربية **(عبيدة صبطي، نجيب بخوش:٢٠٠٩، ص١٣).**

٢. مفهوم السيميولوجيا

لقد تناول الباحثون المختصون مفهوم السيميولوجيا حسب نظريات متفقة أو مختلفة، وحسب مجالات متنوعة، كما تناولوا كل مكوناتها وعناصرها وقد كتبت مقالات في هذا الشأن، وألفت كتب وعقدت ندوات، بيد أن القارئ المبتدئ أو العادي الذي قد يكون في عجلة يخرج مضبب الرؤى لا تتضح أمامه مظاهر الاشتراك والافتراق بين تلك النظريات والمجالات، وخاصة الطالب العربي يواجه الكثير من الصعوبات، حينما يدرس السيميولوجيا ويحاول أن

يستوعبها ويتمثلها ليجتهد فيها، والتي تتجلى بالأساس في تداخل المصطلحات وتشعبها واختلاف مضامينها.

لذلك سوف نقتصر في هذا الصدد على تحليل المصطلحين الرئيسين المستعملين في هذا الحقل المعرفي وهما: السيميولوجيا (sémiologie) و السيميوطيقا (Sémiotique) معترفين أننا مهما حاولنا إيجاد محاولة لتعريف هذين المصطلحين لانستطيع أن نستقر على تعريف دقيق ومحدد، لأن" أية محاولة للتعريف، لابد لها أن تصطدم بتعدد وجهات النظر في تحديد هوية هذا الحقل المعرفي تحديدا دقيقا (**عبد الرحيم جيران: ١٩٨٨، ص.٧**).

٢,١ التعريف اللغوي للسيميولوجيا

إن كلمة سيميولوجيا (Sémiologie) من الأصل اليوناني (Sémion) أو (Sémaino) والمتولدة هي الأخرى من الكلمة (Séma) وتعني **العلامة (الدليل)** (signe) وهي بالأساس الصفة المنسوبة إلى الكلمة الأصل (Sens) أي **المعنى**.أما عن لفظة "لوجيا" (logie) فتعني **العلم**، وبالتالي فإن **كلمة السيميولوجيا أو السميوطيقا من الناحية اللغوية** تعني **علم العلامات** (**برنار توسان:٢٠٠٠، ص.٩**) أو العلم الذي يقوم بتحليل المعاني عن طريق **العلامات (Bignell, 1997:p.1)**.

٢,٢ التعريف الاصطلاحي للسيميولوجيا

إن السيميولوجيا أو السميوطيقا أو السيمياء، لدى دارسيها تعني "علم دراسة العلامات دراسة منظمة و منتظمة"(**الرويلي وسعد البازعي:دون سنة، ص. ١٧٧**) فهي تدرس مسيرة العلامات في كنف الحياة الاجتماعية و قوانينها التي تحكمها "(**برنار توسان:٢٠٠٠،ص.٩**) مثل أساليب التحية عند مختلف الشعوب وعادات الأكل والشرب عندهم...الخ.

إلا أن الأوروبيون يفضلون مصطلح **السيميولوجيا** التزاما منهم بالتسمية السوسيرية نسبة إلى دي سوسير، أما الأمريكيون فيفضلون مصطلح السميوطيقا التي جاء بها المفكر والفيلسوف الأمريكي "تشارلز ساندرس بيرس (Charles Sanders Peirce)" أما العرب، خاصة أهل المغرب العربي فقد دعوا إلى ترجمتها بـ" السيمياء" محاولة منهم في تعريب المصطلح، وكما يقول معجب الزهراني: إن السيمياء ترتبط بحقل دلالي لغوي ثقافي يحضر معها فيه كلمات مثل السمة والتسمية، والوسام والوسم والميسم والسيماء، والسيمياء(بالقصر والمد) والتي تعني علم العلامة (**الرويلي وسعد البازعي:دون سنة:ص ص. ١٧٧-١٧٨).**

ويتضح مما سبق أن لفظ السيمياء قد ورد في القرآن الكريم ست مرات، وذلك في قوله تعالى ﴿**تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا**﴾ [سورة البقرة:الآية،٧٦]، وقوله كذلك عز وجل ﴿ **وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم**﴾ [سورة الأعراف:الآية،٤٦] وقوله ﴿**ونادى أصحاب الأعراف رجال يعرفونهم بسيماهم**﴾ [سورة الأعراف:الآية،٤٨]، ﴿**ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم**﴾[سورة محمد:الآية،٣٠]، وقوله تعالى ﴿**سيماهم في وجوههم من أثر السجود**﴾[سورة الفتح:الآية،٢٩]،وقوله تعالى ﴿ **يعرف المجرمون بسيماهم**﴾ [سورة الرحمان:الآية،٤١].

ويحسن بنا في هذا السياق، أن نستحضر بعض من تعاريف باقي الباحثين بإيجاز كي يتسنى لنا التمييز بين مصطلحي السيميولوجيا و السيميوطيقا، و هل يؤثر تغيير شكل المصطلحين على تغيير مضمونهما؟

فهذا "بيير غيرو **Pierre Guiraud**" أحد أساتذة جامعة نيس الفرنسية- يعرف السيميوطيقا قائلا:" السيميوطيقا علم يهتم بدراسة أنظمة العلامات، اللغات، أنظمة الإشارات، التعليمات...الخ. وهذا التحديد يجعل اللغة جزءا من السيميوطيقا" **(بيير غيرو: ١٩٨٤، ص. ٥).**

يتبين لنا من خلال هذا التعريف السابق، أن "غيرو (P. Guiraud) " يتبنى نفس الطرح "السوسيري" الذي يعتبر اللسانيات فرعا من السيميولوجيا،

غير أن" رولان بارت **(Roland Barthes)"** سيفند هذا الطرح ويقلب المعادلة على عقبها، بتأكيده على أن السيميولوجيا. لايمكن أن تكون سوى نسخة من المعرفة اللسانية.

فإذا كان دي سوسير قد ضيق الدرس السيميولوجي ووجه كل اهتماماته للغة، وجعلها الأصل محل الصدارة، فإن مفهوم "بارت(R.Barthes) " للسيميولوجيا فسح المجال بحيث اتسع حتى استوعب دراسة الأساطير واهتم بأنسقة من العلامـات التي أسقطـت من سيميولـوجيا " دي سوسير" كاللباس وأطباق الأكل والديكورات المنزلية، و الأطعمة والأشربة وكل الخطابات التي تحمل انطباعات رمزية ودلالية، أما "جورج مونان **(George Mounin)"** فيعني بالسيميولوجيا:"دراسة جميع السلوكات أو الأنظمة التواصلية " **(George Mounin :P.133)**.

أما "أمبرطو إيكو (Umberto Eco) "فقد استبدل مصطلح السيميولوجيا (Sémiologie) بمصطلح السميوطيقا (Sémiotique) فيقول في مستهل كتابه: البنية الغائبة (La structure Absente) معرفا هذا العلم" السيميوطيقا تعني علم العلامات"(**http://www.arabicnadwah.com)**.

أما بالنسبة لمدرسة باريس التي تضم كلا من "غريماس(Greimas) " و"كوكيه[*] (Coquet)" و "أريفي (Arrivé)" الخ...فلها تعريف مغاير

(*) لقد كان غريماس في بداية الستينات الوريث الحقيقي لهيالمسلف ودي سوسير في دراسة الدلالات، فانه اقبل على نظرية اللغة متبعا في ذلك مسارا شخصيا، في (١٩٣٣) على وجه التقريب، لم يكن هناك شيء يوحي بان هذا الليتواني الصغير الذي يبلغ من العمر ١٦ سنة، سيتوجه إلى دراسة اللسانيات الفرنسية، وهو الذي تعلم لوحده اللسان الألماني حتى يستطع قراءة نيتشه، في حين نجد نزوع غريماس إلى البحث السيميولوجي تولد، في الظاهر على الأقل، عن سلسلة من المصادفات سببتها حوادث التاريخ في هذه المنطقة من العالم في نهاية الثلاثينيات **(أن إينو :٢٠٠٤، ص. ١٠٤)**.

للتعاريف السالفة الذكر فهي في مشروعها" تأسيس نظرية عامة لأنظمة الدلالة"(**http://www.arabicnadwah.com**).

ويتبين لنا من خلال هذه التعاريف أن السيميولوجيا والسيميوطيقا متقاربتان في المعنى، فالسيميولوجيا –إذا- مرادفة للسيميوطيقا، وموضوعها دراسة أنظمة العلامات أيا كان مصدرها لغويا أو سننيا كما تدرس أنظمة العلامات غير اللسانية، فلم تعد ثمة أسباب أو مبررات تجعل أحد المصطلحين يحظى بالسيادة دون الآخر(**عبيدة صبطي، نجيب بخوش:٢٠٠٩، ص. ١٧).**

وإن كانت هناك أسباب تميز بعضهما، فهي في الواقع أسباب بسيطة تعتمد النزعة الإقليمية على حد تعبير "ترنس هوكز" الذي يقول في هذا الخصوص: " ومن غير اليسير التمييز بينهما، وتستعمل كلتا اللفظتين للإشارة إلى هذا العلم (يعني به علم العلامات) والفرق الوحيد بين هاتين اللفظتين أن السيميولوجيا مفضلة عند الأوربيين تقديرا لصياغة "دي سوسير" لهذه اللفظة، بينما يبدو أن الناطقين بالإنجليزية يميلون إلى تفضيل السيميوطيقا احتراما للعالم الأمريكي "بيرس"، لكن الصيغة الثانية السيميوطيقا كتسمية لمجال هذا العلم هي التي أُقرَّت أخيرًا (**ترنس هوكز:١٩٩٦، ص.١١٤**)، و أُخذَ بها من قبل " المجمع الدولي لعلم السيميوطيقا" المنعقد بباريس في شهر جانفي سنة (١٩٠٩).

كما يقول "أمبرطو إيكو(Umberto Eco)" في هذا الصدد:" لقد قررنا على كل حال أن نتبنى هنا بصفة نهائية مصطلح السيميوطيقا (Sémiotique) بدون أن نتوقف عند المناقشات حول التوريطات الفلسفية أو المنهجية لكلا المصطلحين، نحن نخضع بكل بساطة للقرار المتخذ في جانفي سنة (١٩٦٩) بباريس من لدن الهيئة الدولية التي انبثقت عنها الجمعية الدولية للسيميوطيقا والتي قبلت (بدون أن تقصي استعمال السيميولوجيا) مصطلح السيميوطيقا على أنه هو الذي ينبغي ابتداءً من الآن أن يغطي جميع المفاهيم الممكنة للمصطلحين المتنافس فيهما(**http://www.arabicnadwah.com**).

ولكن رغم هذا حدد "غريماس" الفرق بين المصطلحين في اللغة الفرنسية بأن جعل السيميوطيقا تحيل إلى الفروع أي دراسة أنظمة العلامات المختلفة مثل سيميوطيقا الصورة الثابتة، سيميوطيقا المسرح، سيموطيقا الصورة الإشهارية، سيميوطيقا العمران، سيميوطيقا الكاريكاتير...الخ، أما السيميولوجيا فهي **هيكل نظري** لعلم العلامات بصفة عامة دون تخصص لهذا النظام أو ذاك**(قدور عبد الله ثاني: ٢٠٠٤ ، ص.٩٨).**

وبالتالي فالهدف من دراسة السيميولوجيا هو دراسة المعنى الظاهر و الخفي لكل نظام علاماتي فهي تدرس لغة الإنسان اللفظية و غير اللفظية و ما يحيط به باعتبارها نسق من العلامات مثل: العلامات التجارية وإشارات المرور والخرائط والصور الفوتوغرافية...الخ.

واستنادا إلى ما سبق، نستخلص بأن الموضوع الرئيس للسيميولوجيا حسب "بيرس" هو السيرورة المؤدية إلى إنتاج الدلالة، أي ما يطلق عليه في الاصطلاح السيميولوجي السميوز (Sémiosis)، والسميوز في التصور الدلالي الغربي هي **"الفعل"** المؤدي إلى عملية إنتاج الدلالات وتداولها، أي سيرورة يشتغل من خلالها شيء ما باعتباره علامة، وبهذا فإن كل واقعة تستند من أجل إنتاج دلالاتها، إلى سيرورة داخلية تجمع بين العناصر المكونة لها **(سعيد بنكراد:٢٠٠٣، ص.١٧١).**

وهذا ما وضحته "جوليا كرستيفا" في قولها:" إن دراسة الأنظمة الشفوية وغير الشفوية ومن ضمنها اللغات بما هي أنظمة أو علامات تتمفصل داخل تركيب الاختلافات، إن هذا هو ما يشكل موضوع علم السيميوطيقا**(عصام خلف كامل:٢٠٠٣، ص.٢٦).**

الفصل الثالث

المدارس السيميولوجية

تمهيد

أجمع الباحثون على أنَ " تشارلز ساندرس بيرس (Charles S. Peirce)" لم يلتقِ، أو لم يقرأ عن "دي سوسير (Ferdinand de Saussure)" والعكس صحيح أيضاً، إلاَ أنَ معطياتهما تكاد تكون متقاربة ومنسجمة في بعض المواضع، فكلاهما أسس لعلم نقدي لغوي شامل، وهو علم العلامات، وكلاهما انطلق من تأسيس ذلك من خلال الحديث عن معطيات العلامة وتصنيفاتها ومداخلها، وميادين تنظيرها وتطبيقها، وكلاهما أسهم في إنعاش الحركة المعرفية، وعُدت معطياتهما طرائق يُهتدى بها في السلوك التحليلي للرسائل اللغوية والرسائل البصرية.

وانطلاقا مما سبق نجد أنفسنا أمام مدرستين أساسيتين هما المدرسة الفرنسية بزعامة دي سوسير (Ferdinand de Saussure)" والمدرسة الأمريكية بقيادة " تشارلز ساندرس بيرس (Charles S. Peirce)".

١. المدرسة الفرنسية

مما لا شك فيه أن كتاب "دي سوسير" المعنون بـ "محاضرات في اللسانيات العامة" قد بلغ قيمة علمية كبيرة في مجال اللسانيات، فقد ساعد على تحديد مجرى لسانيات القرن العشرين، والابتعاد بها كليا عن المناهج اللسانيات التاريخية.

ومن الأمور التي اشتهر بها "دي سوسير" استخدامه لظاهرة ملفتة للانتباه تمثلت فيما يسمى بالثنائيات، ومن الممكن جدا أن يكون "دي سوسير" قد تأثر بالنظرية الكلاسيكية القائلة بأن ثمة وجهين مختلفين لكل شيء في هذا الكون كلاهما يكمل الآخر، وقد ظهرت هذه الفكرة من قبل عند أرسطو وديكارت، وقد استعملها "دي سوسير" من جديد في شكل دعائم مزدوجة أو تفرعات ثنائية.

كما يقوم المنهج الذي تبناه "دي سوسير **(Ferdinand Saussure de**" على فكرة النظام اللساني الذي يتكون من عناصر دالة منسجمة فيما بينها تمثل بنيته الجوهرية.

فلقد أوضح "دي سوسير" أن هدف الدراسة هو اللغة وبينما أن اللغة علامات مختزنة في الذهن، فالهدف من الدراسة اللغوية إذن هو دراسة العلامة اللغوية أو الدليل اللغوي.



Ferdinand de Saussure

1.1 التعريف برائد المدرسة الفرنسية (فردناند دي سوسير)

فردناند دي سوسير **(Ferdinand de Saussure)"** لغوي سويسري ولد بجنيف ٢٦ نوفمبر سنة **(١٨٥٧)**، والتحق بجامعة لا يبزيش، سنة **(١٨٧٦)**، فتتلمذ على يد الأستاذ الكبير "جورج كورتيوس" وكانت له فرصة الالتقاء بالنحاة الشباب المحدثين (الثائرين على هذا الأستاذ) وعلى رأسهم "كارل بروجمان" **(محمود إبراقن:دون سنة، ص.٤٥)**.

والتحق بحلقة اللغويين الألمان وأسهم بأفكاره في مجال الدراسات المقارنة وفي سنة **(١٨٧٨)** في شهر ديسمبر أنهى مشروع البحث الذي يحمل عنوان "مذكرة في النظام البدائي للصوائت في اللغات الهند وأوربية"، وقد طبع هذا البحث في سنة **(١٨٨٩)** وحقق شهرة عالمية وكان "دي سوسير" آنذاك لا يتجاوز الواحد والعشرين من عمره، وأقام بباريس من بين **(١٨٨٠ إلى ١٨٩١)** حيث في **(١٨٨٠)** تقدم بأطروحته التي تحمل عنوان "استعمال المضاف المطلق في اللغة السنسكرتية" **(نور الهدى لوشن: دون سنة، ص .٢٩٨-٢٩٩)**.

وتولى دي سوسير خلال هذه المرحلة منصب مدير الدراسات بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا، وفي الوقت نفسه كان يحاضر هناك لجمع الطلبة في اللسانيات التاريخية والمقارنة. وفي سنة **(١٨٩١)** رجع إلى مسقط رأسه واستقر هناك يدرس بجامعة جنيف إلى وافته المنية سنة **(١٩١٣)** عن عمر يناهز الستة والخمسين عاما نتيجة سرطان أصابه في حلقه.

وهكذا، قضى "دي سوسير" جل حياته في دراسة اللسانيات التاريخية وتدريسها ولم يدرس اللسانيات الآنية والتنظير اللساني العام اللذين اشتهر بهما بعد موته إلا في السنوات الأخيرة من حياته. وبدون منازع، يعد هذا المفكر السويسري اليوم أب اللسانيات الحديثة ومؤسس المنهج الآني وأول منظر في كل من البنيوية والسيميولوجيا **(أحمد مؤمن: ٢٠٠٣، ص. ١١٨)**.

و بعد وفاته، في ٢٢ فبراير سنة (**١٩١٣**)، جمع طلبته (نذكر من بينهم: بالي **(Ch.Bally)** وسيشيهي **(Sechehaye)** اللذين خلفاه على رأس مدرسة جنيف اللسانية) كل دروسه لينشروها، عام (١٩١٦)، في مؤلف بعنوان "محاضرات في اللسانيات العامة **(Cours de Linguistique Générale)"** (**محمود ابراقن: دون سنة، ص.٤٥**)،وذلك انطلاقا من الكراسات المتنوعة للطلبة والحواشي التي كتبها نفسه.

وتبدو الحياة السرية لهذا العالم المتقشف ممزقة تتخللها انكسارات وتهزها من العمق مأساة عنيفة خفية نلاحظها في تنقلاته (**أن إينو :٢٠٠٤، ص. ٢١**). ولم يكن ولوع " دي سوسير" بإبراز أوجه التناقض في اللسان بمجرد رغبة أو هوسا على حد تعبر "فيكتور هنري" بقدر ما كانت تلك الثنائيات نتاج تمحيص لبنى اللغة، ويبدو أن هذه الثنائيات لا تمثل تطابقا واختلافا جذريا كما يتصورها البعض أن تكون فهي متداخلة، وتبدأ حين تنتهي سابقتها، وليس لأحدهما قيمة إلا بالأخرى فالفصل الذي يقيمه الدارس بين الدراسة التاريخية والآنية لا يحدث على مستوى الأشياء المدروسة لغويا، وإنما في مستوى الذهن فهي كخطوط الطول والعرض تسهل على الدارس لجغرافيا الأرض فقط، إن ثنائيات "دي سوسير" تكشف عن مجمل تصوره اللساني، وقد أضحت هذه الثنائيات مبادئ أساسية للسانيات العامة، وربما كان مهما في التأسيس اللساني عرضها كما وردت في محاضرات "دي سوسير" وهي كالآتي (**بوقرة نعمان:٢٠٠٦، ص. ٨٨**).

٢,١ ثنائيات دي سوسير

ومن جملة الثنائيات التي قدمها"دي سوسير" هي: ثنائية: لسان/ كلام، ثنائية: دال/ مدلول، ثنائية:آني/ تطوري، ثنائية: التركيبي/ الاستبدالي.

١.ثنائية لسان/ كلام

تقوم اللغة **(Langage)** حسب رأي "دي سوسير" على عنصرين رئيسين : "لسان" والذي يعتبره: " على أنه نسق من العلامات المعبرة عن أفكار، وهو بذلك شبيه بأبجدية الصم والبكم وبالطقوس الرمزية وبأشكال

الآداب والإشارات العسكرية، إلا أنه يعد أرقى هذه الأنساق، من هنا تأتي إمكانية البحث عن علم يقوم بدراسة هذه العلامات داخل الحياة الاجتماعية..." أو **بوصفه** شفرة اتفقت عليها الجماعة اللغوية **(Langue)** و"الكلام" **(Parole)** بوصفه استعمالا شخصيا لتلك الشفرة، وهو ما يعطي لنا المعادلة الآتية:

اللغة= لسان +كلام، لأن اللغة اللفظية تتمثل في مقدرة الإنسان على الاتصال باستخدامه لنظام دلائل صوتية (**محمود إبراقن:دون سنة،ص.٧٨**).

فلا يمكن معرفة أي شيء دون الاستعانة بعلامات اللسان، ذلك أن العالم بكل موجوداته يحضر في الذهن على شكل مضمون لساني، فأشياؤه وتجاربه توزع وتصنف من خلال المفاهيم وطرق التقطيع التي يوفرها اللسان، فنحن لا يمكن أن ندرك هذا العالم ولا أن نعرف عنه أي شيء إلا عبر الكلمات وكل ما يسمح به نظام اللسان، فاللسان أداة للتعيين وأداة للتصنيف وأداة للتقطيع المفهومي **(http://www.saidbengrad.com).**

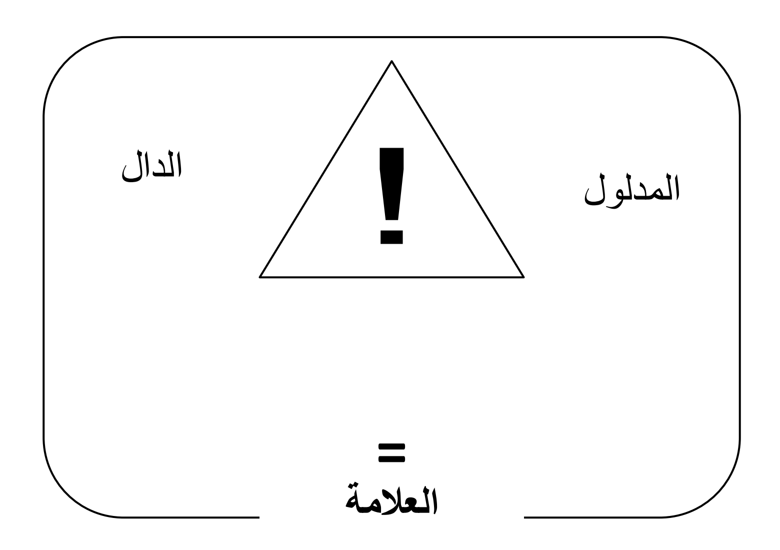
و يمكن أن يفهم من هذه الثنائية أن الكلام يمتلك تنظيما مستقلا عن اللسان إلا أنه يبقى في حقيقة الأمر، مجسدا في أرض الواقع ومقررا لمساره فعلا.

إن كلا من **اللسان و الكلام** هما في علاقة جدلية حقيقية: لأن اللسان، في نظر "دي سوسير" هو الكنز الذي يودع بفضل ممارسة الكلام في ذاكرة أفراد الجماعة اللغوية نفسها بمعنى أن اللسان لا وجود له خارج الكتلة المتكلمة، علما بأن الكلام هو الذي يطور اللسان: لأن وقائعه-تاريخيا- هي التي تسبق دائما وقائع اللسان.

٢. ثنائية الدال/ المدلول

فالعلامة اللغوية تعد وحدة النظام اللساني وهي تتكون من صورة سمعية**(Image acoustique)** ومفهوم **(Concept)** ، ثم يصرح "دي سوسير" بالإبقاء على مصطلح العلامة للدلالة على الكل، وتعويض مفهوم وصورة

سمعية بلفظتي دال). **(le signifiant)** ومدلول **(le signifié)**، وهو كما هو موضح في الشكل الموالي:



إذن فالدال عند "دي سوسير" صورة سمعية مشتقة من كيان صوتي، أو هي تمثيل طباعي (في حال وجود كتابة)، إنه متوالية من الأصوات أراد لها الاستعمال الجماعي الناتج عن تعاقد لا تُعرف له بداية، أن تكون كيانا يحل محل شيء آخر، ويتميز هذا الكيان بـ :

أ- إنه نفسي وليس ماديا، فنحن لا نحتاج إلى استحضار الجزء المادي في تعريفه. إن آلة الصوت لا تحدد مضمون الصوت، من هنا فإنه البصمة النفسية التي تلتقطها أذن المتلقي، أو يقوم بتشكيلها لسان الباعث، إنه نفسي فنحن نستطيع أن نتحدث إلى أنفسنا أو نستظهر مسرحية أو قصيدة شعرية دون تحريك الشفاه **(F.De.Sausure :1979, p.98)**.

ب- إنه مفروض وليس حرا، فالذات المتكلمة لا تستشار في أمره، ومن ثم لا تستطيع لا تبديله ولا تغييره. فهو نتيجة عرف، وسلطة العرف أقوى وأعمق من سلطة القانون، فالدال الذي يختاره اللسان لا يمكن استبداله بآخر لأنه ينفلت من إرادتنا ومن قدرتنا على إحلال عنصر آخر محله.

وأما المدلول فهو التصور الذهني الذي نملكه عن شيء ما في العالم الخارجي. إنه ليس الشيء ولا يمكن أن يكونه، إنه الصورة المجردة التي يمنحها اللسان إلى الشيء عبر التعيين والتسمية. فالشيء لا يحضر في الذهن من خلال ماديته، إنه يأتي إليه من خلال بنية شكلية تعد تكثيفا لمجموعة من الخصائص التي تمكننا من استحضار هذا الشيء وفق سياقات متعددة. ورغم أن "دي سوسير" لم يكن واضحا بما فيه الكفاية في تعريفه للمدلول، فإنه مع ذلك كان قطعيا في تحديد جوهره، فالمدلول ليس شيئا ولا يعين مرجعا، إنه يكتفي بالإحالة على قسم من الأشياء وفق سيرورة تقود إلى تجريد الظاهرة وتحويلها من الملموس إلى المجرد. وعلى هذا الأساس اعتبره "سوسير"، شأنه في ذلك شأن الدال، كيانا نفسيا **(http://www.saidbengrad.com)**.

والعلامة اللغوية عند "دي سوسير" لا توجد بين الاسم و الشئ وهي الفكرة السائدة قبله بل توجد بين مفهوم وصورة سمعية.



L'arbitraire   واجهة حسية   واجهة معنوية

٣.ثنائية آني/تطوري

من الواضح أن المنهج الذي كان سائدا في القرن التاسع عشر قبل دي سوسير هو الدراسة التاريخية التطورية وقد بقيت الأمور على تلك الحال إلى أن نشر الكتاب محاضرات في اللسانيات العامة سنة (١٩١٦) الذي شكك في جدوى الدراسات التاريخية، لأن ضرورة معرفة ما يطرأ على الظاهرة اللغوية عبر الزمن يأتي بعد معرفة الظاهرة في حد ذاتها في الزمن المعين **(خولة الإبراهيمي: ٢٠٠٠، ص .١٣).**

وبهذا نجد أن هناك لسانيات خاصة بالدراسات الآنية **(Linguistiques Synchroniques)** و لسانيات خاصة بالدراسات التطورية **(Linguistiques Diachroniques)**، فاللسانيات الآنية أو السكونية واللسانيات التطورية، لا يمكن القطع بأنها لا تشكل أول ميلاد حقيقي للسانيات المعاصرة فقط، بل تمثل إلى جانب هذا أول رؤية منهجية في تحليل ومعالجة أية مدونة بين وضعها الآني أو وضعها الزمني **(عبد الجليل مرتاض: ٢٠٠٥، ص.٢١).**

فمصطلح اللسانيات الآنية (**Synchroniques**) يتكون من(Syn) بمعنى "في" و (**chroniques**) بمعنى "زمن"، كأن نقول حدث آني أي وقع الساعة (**أحمد علي بركات: دون سنة، ص.٥٠).**

فهي تهتم بالنظام اللساني في ذاته في اللغة بمعزل عن التاريخ ويطلق على هذه الشعبة من اللسانيات الوصفية، وتعني بدارسة اللغة كما هي مستعملة في مكان وزمان معينين، وخاصة في الزمن الحاضر وذلك بوصف مستوياتها المعجمية، والصوتية، الصرفية، والتركيبية والدلالية بطريقة علمية، ويقابل مصطلح اللسانيات الآنية **اللسانيات الزمنية أو التطورية والتي** تعني في اللغة تطور أي تغير إلى شكل آخر واكتسب تراكيب جديدة.

فاللسانيات التطورية (**Linguistiques Diachroniques**) تتكون من **(Dia) بمعنى "عبر"** و (**chroniques**) بمعنى "زمن" وتعني دراسة تطور

اللغة عبر الزمن وهناك مصطلح آخر يستعمل مرادفا للسانيات الزمانية وهو اللسانيات التاريخية (**أحمد مؤمن:دون سنة، ص.٩**).

أما **اصطلاحا**: فالدراسة اللسانيات التطورية أو الزمانية وهي دراسة الظاهرة اللسانية عبر مراحل زمنية متتالية ويعبر عنها بمصطلح التي تترجم إلى العربية بمصطلحات كثيرة، تعاقبي، تاريخي، زماني، زمني تطوري حركي.وتهتم هذه الدراسة بالوقوف عند التحول المرحلي للسان عقب الحقب الزمنية (**أحمد علي بركات: دون سنة، ص.٢٢٠**).

فاللسانيات الآنية تدرس أية لغة دراسة وصفية في حالة معينة أي في نقطة زمنية معينة ولا تقتصر في الواقع على دراسة اللغات الحديثة أو المعاصرة.أي دراسة اللغة كما هي مستعملة في مكان وزمان معينين وخاصة في الزمن الحاضر وذلك بوصف مستوياتها المعجمية والصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية بطريقة علمية (**أحمد مؤمن:دون سنة، ص.٩**).

أما اللسانيات التطورية أو الزمانية فتتناول بالدراسة التغيرات والتطورات المختلفة التي طرأت على لغة ما عبر فترة من الزمن أو خلال حقب متتابعة في الزمن الماضي.

وبدون شك، فإن كلا المنهجين مهم في الدراسة اللغوية وينبغي فقط عدم الخلط بينهما عند البحث إذ لكل منهما مبادئه الخاصة، فالمنهج الآني منهج استقرائي ساكن والمنهج الزماني منهج حركي تطوري. والمؤكد أن "دي سوسير" لم يرفض البتة اللسانيات الزمانية، ولم يعدها شيئا ثانويا أو غير ضروري ولكنه ألح فقط على الفصل بينهما، كي لا تدحض النظرة التطورية الوصف الآني، وكي تثبت كل واقعة في مجالها الخاص.

بل دعا إلى عدم تغلب النظرة التاريخية على النظرة التي تعتمد إلى نظام اللغة في حالة تطورها أي أن يعلل كل شيء في هذا النظام بحوادث الزمان (**عبد الرحمان الحاج صالح:١٩٧٢،ص.٤٤**).

إذن وحسب "دي سوسير" اللسانيات الآنية تعني بالعلاقات النفسية والمنطقية التي تربط مفردات متواجدة معا وتشكل نظاما في العقل الجماعي للمتكلمين وعلى العكس تماما اللسانيات التطورية أو الزمانية تدرس العلاقات التي تربط المفردات المتعاقبة التي لا يدركها العقل الجماعي والتي يحل بعضها محل البعض الآخر دون تشكيل أي نظام يذكر.

٤. ثنائية: المحور التركيبي(النظمي)/المحور الاستبدالي

وتتمثل هذه الثنائية في العلاقات التركيبية وهي العلاقات الأفقية الموجودة بين الوحدات اللغوية ضمن السلسلة الكلامية الواحدة، كالعلاقة بين أصوات الكلمة الواحدة وكلمات الجملة الواحدة، وتضفي كل وحدة معنى إضافيا على الكل، تكون في حالة تقابلية مع بقية الوحدات اللغوية الأخرى، ولا تكتسب قيمتها إلا بتقابلها مع الوحدات التي تسبقها أو تليها أو معهما جميعا **(أحمد مؤمن:دون سنة، ص.١٣٠)**، وتسمى هذه الأنساق الخطية تراكبية.

مثال: كتَبَ الطالب الدرس، ففي هذه الجملة هناك علاقة تركيبية من ثلاث وحدات وهي: كتب + الطالب + الدرس

أما على مستوى المفردات فتتمثل هذه العلاقة في إدماج بعض الصوامت في أنساق تركيبية حسب القوانين الفونولوجية المتعارف عليها في تكوين مفردات لغة ما كهذه المجموعة لصوامت:س+يـ+مـ+يـ+و+لـ+و+جـ+يـ+ا والتي تعني مجتمعة سيميولوجيا، وفي هذا يقول "دي سوسير" تكتسب الكلمات علاقات مبنية على صفة اللغة الخطية بسبب ترابطها فيما بينها مما يستثني إمكانية لفظ عنصرين في آن واحد **(أحمد مؤمن:دون سنة، ص.١٣١)**.

أما المحور الاستبدالي فيتمثل في العلاقات الاستبدالية أو الترابطية بين الوحدات اللغوية التي يمكن أن تحل محل بعضها بعض في سياق واحد، وبعبارة أخرى فإنها تعكس علاقات موجودة في أذهاننا، ففي المثال السابق

يمكن تعويض كلمة كتب بـ:دون، سجل،...، وكلمة الطالب بـ التلميذ، المتمدرس،... وكلمة درس بـ: المحاضرة، الموضوع،...وهكذا.

المحور
الاستبدالي
الترابطي

دون	**المتمدرس**	**الموضوع**
سجل	**التلميذ**	**المحاضــرة**
كتــب	**الطالــب**	**الـــدرس**

المحور التركيبي (النظمي)

العلاقات الترابطية و التركيبية

■ **الوحدات الموجودة في الذهن**

■ **الوحدات الحاضرة في الجملة الأفقية**

أما على مستوى المفردات يكون تحديد كل صوتم **(Phonème)** بمقابلته بالصواتم الأخرى التي يمكن أن تحل محله في سياقات مختلفة لتكوين الكلمات، وذلك كاستبدال الحرف الاستهلالي ببعض الحروف، والإبقاء على الحرف الثاني والثالث كما في هذه المفردات:قام، رام، هام، دام أو استبدال الحرف الثاني من الكلمة بحرف آخر مع الإبقاء على الحرف الاستهلالي والختامي في هذه الكلمات ذهب، أدب، سلب...الخ.

وبهذا يتجلى المنهج اللساني للبنيوية في أبرز المفاهيم التي تقدم بها "سوسير(F. de Saussure)" في محاضراته وكشف عن مبادئ البنيوية**(نصر الدين العياضي:١٩٩٨،ص.٥٩)**:

- الاهتمام بطبقة اللغة وجوهرها.
- تعرف العلامة اللغوية على أنها إنتاج عنصرين الدال والمدلول وتعتبر هذه الثنائية الصورة النموذجية التي يمكنها أن تختزل النظام اللساني وتدل عليه.
- اهتمامه بمبدأ نظامية اللغة.
- وأن اللغة عبارة عن مجموعة من العلاقات والقوانين تحكم مجموعة من العناصر المنتظمة في تناسق.
- وأنها نظام من العلامات لا قيمة لواحداتها وسائر مكوناتها إلا بالعلاقات القائمة فيما بينها.
- وأن قواعد الحالة النظامية الراهنة للغة هي المتحكمة في طبيعة التغيير اللغوي القائم على أساس التعاقب وهذا ما يفسر استمرار النظام اللساني لعلامات جديدة.
- تنبيه للمنهج التزامني في دراسة اللغة.
- تأكيده على العامل النفسي والاجتماعي للغة.

٣،١ خصائص العلامة اللغوية عند دي سوسير

يتميز الدليل اللساني عند "دي سوسير (F. de Saussure) " بالخصائص الست الآتية:

١. اللسان هو نظام دلائل.
٢. نظرية الدليل اللساني: الدال والمدلول.
٣. الطابع الاعتباطي.
٤. التسلسل الخطي.
٥. الطابع المميز.
٦. التقطيع المزدوج.

١. اللسان هو نظام الدلائل

إن اللسان هو نظام متكون من دلائل، وكل دليل لا قيمة له إلا بالتقابل مع الدلائل الأخرى، داخل ذلك النظام. فإذا عزلنا دليلا ما عن النظام الذي يعطيه قيمته فإننا لا نستطيع تعريفه. لأن اللسان هو نظام ترتبط في جميع أجزائه بعضها بعض على أساس اتحاد الهويات واختلافها وإن هذا الاختلاف الذي مثل جوهر النظام نفس يتم على أساس مبدأ التقابل **(محمود إبراقن:دون سنة،ص.٥٩).**

ولهذا يعتبر "دي سوسير"" اللسان" على أنه نسق من العلامات المعبرة عن أفكار، وهو بذلك شبيه بأبجدية الصم والبكم وبالطقوس الرمزية وبأشكال

الآداب والإشارات العسكرية، إلا أنه يعد أرقى هذه الأنساق. من هنا تأتي إمكانية البحث عن علم يقوم بدراسة هذه العلامات داخل الحياة الاجتماعية.

فما هي طبيعة اللسان، وما هي طبيعة الوحدات المكونة له ؟

لقد رفض "دي سوسير" الفكرة البسيطة والساذجة القائلة بأن اللسان مدونة، أي أنه يتكون من مجموعة الكلمات التي تتناسب وواقع الأشياء في العالم الخارجي، وكان من الطبيعي إذن أن يرفض أن تكون هذه الكلمات مجرد ظل للأشياء، إن اللسان لا يعكس الواقع ولا ينسّخه، إنه يقدم مفصّلة مزدوجة له: إن التقطيع الصوتي، بالإضافة إلى طبيعته الفزيولوجية المادية، يشكل تمثيلا رمزيا تحضر الأشياء داخله على شكل رموز صوتية محددة لتواضع تمثيلي جماعي للكون. وفي الآن نفسه، فإن المفهوم الذي تحضر عبره الأشياء إلى اللغة ليس مادة بل تصورا نفسيا تم الحصول عليه عبر سيرورة ترميزية بالغة التعقيد، وفي الحالتين معا، فإن ما يأتي إلى اللسان ليحتمي به ليس أشياء قابلة للمعاينة والضبط بل صور شتى تكشف عن عمق تجربة الإنسان مع الأشياء. ولهذا رفض "دي سوسير" أن يجعل من الكلمات رهائن عند الأشياء، كما رفض أن تكون الأشياء جواهر وضعت سرا في الكلمات، ويعلل ذلك بسببين على الأقل:

١-إن القول بأن اللسان مدونة معناه القول بأن الأفكار سابقة في الوجود على الكلمات، والحال أن لا شيء واضح قبل ظهور اللسان، ولا شيء يمكن أن يدرك خارج ما تسمح به العلامات، إن ذاكرة العالم ليست مضمونا فكريا يوجد خارج أي لسان، إنه مضمون من طبيعة لسانية، وعبر وحدات اللسان تتوضح الأفكار وتصنف التجارب وتدرك الأشياء وتوزع، فالعلامة ليست غلافا تسنده الصدفة إلى الفكر، بل هي عضوه الضروري والأساس، فهي لا تستخدم من أجل إبلاغ فكر معطى بشكل جاهز، بل هي الأداة التي من خلالها يتخذ الفكر شكلا ويخرج للوجود، ومن خلالها فقط يكتسب كامل معناه **(Ernest Cassirire : 1972, p. 27)**.

٢-إن القول بأن اللسان مدونة معناه القول إن العلاقة بين الكلمات وبين العالم الخارجي علاقة في غاية البساطة، والحال أن الأمر على خلاف ذلك، فتشكل الدال وكذا تشكل المدلول خاضعان لسيرورة بالغة التعقيد والتركيب، فإذا كانت الدوال هي من صنع التواضع والتعارف، فإن المدلولات تستدعي تحكما تجريديا في التجربة الواقعية وإخضاعها لعملية تقليص تقود إلى "الإمساك بالجوهر القابل للتعميم "على حد تعبير سابير **(E. Sapir: 1970, p.16)**، إنه تحديد للقانون الذي يجب أن يحكم وقائع التدليل استقبالا.

إن اللسان من طبيعة أخرى، لذا فإنه يخضع لقوانين وقواعد يجب معرفتها وتصنيفها وتحديد انعكاساتها على الأنساق الأخرى. وبهذا فهو لا يمكن أن يكون فقط أداة خاضعة في الوجود وفي الاشتغال لعرضية التجربة الواقعية وتحولاتها الدائمة، من هنا فإنه، وعلى الرغم من استجابته الدائمة لحاجيات التجربة الواقعية، منفصل عنها وفاعل فيها أيضا، إنه يوجد خارج الفرد وخارج أهوائه، لذا رأى "سوسير" في اللسان مؤسسة اجتماعية **(F.De.Sausure :1979 ,p.25)** شبيهة بباقي المؤسسات الأخرى التي خلقها المجتمع ليودعها قيمه وأخلاقه وفكره وحضارته.

استنادا إلى هذا، يمكن القول إن اللسان هو في الآن نفسه مؤسسة اجتماعية ونسق للقيم، فهو باعتباره مؤسسة لا علاقة له بالفعل الفردي، إنه تعاقد اجتماعي لا حول للفرد أمامه ولا قوة، وهو باعتباره نسقا من القيم يتكون من عناصر تشتغل في الآن نفسه باعتبارها ما يحل محل شيء ما، وباعتبارها علاقة بعضها ببعض.

وبناءً عليه، فإن جوهر اللسان يوجد خارج طابعه الصوتي، لذا فهو شكل وليس مادة، أي يجب أن ينظر إلى الوحدات اللسانية (من أصوات ومفردات وجمل) ليس كوحدات منفصلة، وإنما كشكل مترابط لا تظهر قيمته إلا

من خلال ذلك الترابط بين عناصره وأجزائه جميعها، ومن ثم فإن تغيير موقع كلمة معينة، في جملة ما، ينتج عنه بالضرورة تغيير في الصيغة ومعنى الجملة ككل، كما أن تبديل حرف من حروف الكلمة يترتب عنه تغيير في بنية تلك الكلمة والمعنى الذي تدل عليه **(محمود إبر اقن: دون سنة، ص.٦٠).**

٢. نظرية الدليل اللساني: الدال والمدلول

إن طبيعة الدليل **اللساني** تستند على عملية (التسمية) بواسطة تلك الأشياء التي ترافق الكلمة أو الاسم يقول "دي سوسير" إن وحدة **الدليل اللساني** لديها جزأين يسمى "(دي سوسير **"** هذين الجزأين بـ (المفهوم) و (الصورة الصوتية) فالصورة الصوتية ليست الصوت الفيزيائي (الطبيعي) (ذاك الذي يصنعه فمك وتسمعه أذناك) بل بالأحرى التأثير النفسي للصوت الانطباع الذي يولده تفسير ذلك، تحدّث إلى نفسك ـ أنت لا تحدث صوتا، لكن لديك انطباع عمّا قلته.

فالدليل **اللساني** إذن، حسب "دي سوسير"" من مضمون (مدلول Signifié) ومن تعبير صوتي (دال Signifiant) .

فالتعاريف الأكثر شيوعا لتعريف الدليل **اللساني** هو أن الدليل عبارة عن اتحاد بين المعنى والدلالة يقول "سوسير الصورة الصوتية هي المعنى والمفهوم هو الدلالة.

ويمكن تشبيه الدليل **اللساني** بورقة يكون وجهها الظاهر هو الصوت والوجه الآخر (الخفي) هو المفهوم أو الفكر، ومن ثم لا نستطيع فصل المفاهيم عن الأصوات التي تنقل عن طريقها. بعبارة أخرى يرتبط الدال بالمدلول ارتباطا "بنيويا"، بحيث إن ما يمثله الأول يحيل ويستدع، في الوقت ذاته، ما يمثله الآخر. أي إن الذي ينتج عن اقتران الدال بالمدلول يتمثل في " الصيغة وليس في المادة '**(محمود ابراقن:دون سنة،ص.٦٤).**

إذن، فإن كلا من الدال والمدلول مترابطان ومتحدّان، فبدون الدال لا وجود للمدلول، والعكس صحيح.

٣. الطابع الاعتباطي

يؤكد "دي سوسير " أن العلاقة الرابطة بين الدال والمدلول، استنادا إلى ما ذكرناه عن تعريف اللسان وعن سيرورة تشكل العلامة، هي من طبيعة اعتباطية، والاعتباطية في مفهومها الأدنى هي غياب منطق عقلي يبرر الإحالة من دال إلى مدلول، فلا وجود لعناصر داخل الدال تجعلك تنتقل آليا إلى المدلول، فالرابط بين هذين الكيانين يخضع للتواضع والعرف والتعاقد، فاختيار الأصوات لا تفرضه مقتضيات المعنى، فـ فكرة /أخت/ لا تربطها أية علاقة داخلية مع المتوالية الصوتية / أ خ ت / التي تعتبر دالا لها، فبالإمكان التمثيل لها بأية متوالية صوتية أخرى **(F. Désassure: 1979, p.100)**.

فلا شيء يمنع -سوى قوة العرف-من إسناد هذه المتوالية الصوتية إلى هذا التصور الذهني. فليس هناك علاقة طبيعية وجوهرية بين خصوصية الصورة الصوتية والمفهوم، مثال ذلك هو الحقيقة بأن هناك كلمات مختلفة في لغات مختلفة لشيء متشابه الكلب هو (dog) في اللغة الانكليزية و (perro) في الاسبانية و (chien) في الفرنسية و (hund) في الألمانية، هذا المفهوم يسود جميع الأفكار حول (بنية) اللغة يجعله من الممكن أن يفصل المعنى والدلالة أو يغير العلاقة بينهما (هذا ما يجعل من الممكن للمعنى الواحد أن يكون مترافقا مع أكثر من دلالة والعكس بالعكس، والذي يجعل الغموض-التعبير الملتبس-وتعددية المعنى ممكنة).

فاللغة هي فقط نوعا واحدا من النظام السيمولوجي (علائقي) (كلمة سيميولوجي تشبه كلمة سيميوتيك الآتية من الكلمة اليونانية التي تعني العلامة) أي نظام للعلامات مركب من المعاني والدلالات هو (سيموتيك) أو نظام معاني، فـ"دي سوسير" إذن يصر على أن كل العلامات اعتباطية (عشوائية) **(http://www.taakhinews.org)**.

وتشير الاعتباطية في مفهومها الأقصى إلى الطابع الثقافي الذي يحكم الظواهر المكونة للتجربة الإنسانية في كليتها، فهي طريقة أخرى للقول إن التسمية والتعيين والتصنيف هي إضافات الثقافة إلى ما منحته الطبيعة للكون الإنساني، من هنا، إذا كانت الطبيعة هي مرادف للمعطى البيولوجي والفزيولوجي الموجود خارج تجربة الإنسان مع الفعل ورد الفعل، فإن الثقافة هي ما يحدد الإضافات التي جاء بها التمدن.

كما أن مبدأ الاعتباطية ليس خاصا بالعلامات اللسانية فحسب، بل هو مبدأ واسع يمكن أن يشمل مجموع الظواهر الاجتماعية، فهذه الظواهر هي أيضا، وكما سبق ذكره من قبل، وليدة تعاقد انبثق عن الممارسة الإنسانية، إن الأمر يتعلق بظواهر ثقافية لا بمعطيات طبيعية. من هنا، فإن ما يصدق على اللسان يصدق على هذه الظواهر أيضا، ويمكن أن يشكل قاعدة لتعريفها وتصنيفها، " فكل وسائل التعبير المتداولة داخل مجتمع ما تستند مبدئيا إلى عادة جماعية أو إلى عرف، فأشكال الآداب مثلا التي تملك نوعا من التعبيرية الطبيعية (مثال الصيني الذي يحيي إمبراطوره بالانحناء تسع مرات) هي في واقع الأمر محكومة بقاعدة، وهذه القاعدة هي التي تفرض استعمالها لا قيمتها الجوهرية"(**F.De.Saussure:1979, p.100**) ، وهكذا إذن حسب رأي "دي سوسير" فإن الظواهر غير اللسانية، مثلها مثل الظواهر اللسانية، هي من طبيعة اعتباطية ويجب بالتالي التعامل معها بنفس القواعد التي تحكم اللسان. استنادا إلى هذا، "يمكن القول إن السيميولوجيا تجد صورتها المثلى في العلامات الاعتباطية " (**F.De.Saussure:1979, p.100**).

ومع ذلك، فإن هذا الحكم العام ليس قطعيا، ولا يمكن أن يخفي أن الوقائع غير اللسانية ليست بالبساطة التي يتميز بها اللسان، فهي لا تستند إلى نفس مبادئه من أجل إنتاج دلالاتها. والمثال الذي يقدمه سوسير للتدليل على اعتباطية المواد التعبيرية غير اللسانية (**F. Désassure :1979, p.100**)، لا يغطي سوى جزء يسير من " اللغات " التي تشكل موضوعا للتواصل، وهي

لغات تتجاوز في وجودها حدود التواصل لتعبر عن نوع من الانتماء الثقافي والاجتماعي والحضاري إلى هذه المجموعة البشرية أو تلك.

إن التصنيف المتضمن في مثال "دي سوسير"، سيترك جانبا مجموعة من العلامات التي لا يبدو -ظاهريا على الأقل-أنها تخضع لمبدأ الاعتباطية، فالرموز والقرائن والأيقونات علامات لها وضع خاص داخل سجل اللغات الإنسانية، ولا يمكن أن نتعامل معها كما نتعامل مع وحدات اللسان، فهي من جهة ليست اعتباطية بالمفهوم الذي يعطيه "دي سوسير" للاعتباطية، وهي من جهة ثانية، ليست معللة بالمعنى الذي يجعل منها كيانا حاملا لدلالاته خارج سياق الممارسة الإنسانية وسننها المتعددة.

وإذا كان الدليل، في علم اللسان، اعتباطيا فإن الأمر يختلف، فيما يخص الصور البصرية والصوتية: كالصور المتحركة، الصور الفوتوغرافية...الخ، حيث إن علاقتها بالواقع ليست كلها اعتباطية، إنها قد تكون–جزئيا أو كليا-معللة **(محمود إبراقن: دون سنة،ص.٦٨)**.

مثال: يمكن أن تكون إشارات قانون المرور إما اعتباطية (الأضواء الثلاثة: الأحمر، الأصفر، والأخضر) أو جزئيا معللة.

مثال:



ممنوع مرور الشاحنات



ممنوع مرور الدراجات

ورغم الانتقادات التي وجهت إلى التصور السوسيري لمفهوم الاعتباطية، فإن قيمته المعرفية ومردوديته التحليلية لا يمكن إنكارهما.

٤. التسلسل الخطي

إن **الخاصية الرابعة** للعلامة هي أن المعنى (هنا يعني الكلمة المنطوقة أو المعنى المسموع) موجود في (الزمن)، وذلك الزمن يمكن أن يقاس باعتباره مؤلف من خطوط، لا تستطيع أن تقول كلمتين في نفس الوقت عليك أن تقول واحدة وبعدها الأخرى في الشكل التخطيطي (التشابه صحيح للغة المكتوبة، عليك أن تكتب كلمة واحدة في وقت معين برغم ذلك تستطيع كتابة أكثر من الكلمة المكتوبة سابقا)، وأنت على العموم تكتب الكلمات في خط مستقيم.

هذه الفكرة مهمة لأنها تظهر بأن (اللغة المنطوقة على أية حال) تعامل كتسلسل خطي، حيث تأتي الكلمات على محور الكلام الخطي واحدة بعد أخرى بجانب بعضها البعض **(http://www.taakhinews.org).**

بمعنى أن لكل لغة طبيعية تتجلى عبر مجموعة من ملفوظات، تتخذ هذه الأخيرة شكل خطي يطلق عليها السلسلة المنطوقة، وتتبين صفة الخطية في الدال حين يمكن تقسيمه إلى أجزاء كل جزء منها يأتي عقب جزء آخر في التتابع الزمني المنتظم فكلمة "كتب" مثلا يمكن تقسيمها إلى أجزاء متتالية على النحو التالي:

ك + فتحة + ت+ فتحة + ب+ فتحة.

فخطية الدال تعود إلى الطابع النطقي الذي تتميز به اللغة الطبيعية، فالملفوظات تنجر حتما وفق الزمن وتدرك بالسمع عبر تتابعها، على عكس الوسائل التعبيرية المرئية كالرسم مثلا، فعلى الرغم من أن الفنان يرسم لوحته مراعاي انتظام عناصرها فالمتأمل أو الناظر لتلك اللوحة يدرك الرسالة التي يحتويها الرسم معتبرا إيها كلا لا يتجزأ.

٥. الطابع المميز

بما أن اللسان نظام من الدلائل المحدودة العدد فإن هذه الدلائل لا تكون إلا وحدات مميزة أو مجزأة : أي يتميز بعضها عن بعض وتكون قابلة للاستبدال. تكون العلاقة بين حرفي /ق/ و/ع/ في اللغة العربية، علاقة مميزة

لأن استبدال حرف /ع/ بحرف /ق/ يؤدي إلى اختلاف في معنى الكلمات (مثال: قاد/عاد).

وهكذا، فإن الحروف التي تؤلف الكلمة **(Morphème)** هي وحدات مميزة لأن كل إبدال في حرف ينجر عنه تغيير جوهري، في هيئة الكلمة مثال: التقابل بين الوحدتين المميزتين/ز/و/ط/، في هيئة الكلمة. (مثال زائر/طائر). وتكون الكلمات بدورها وحدات مميزة، بحيث إن إبدال كلمة /موقد/ بكلمة /مار/، في جملة: "المار قد انكس" يغير المعنى جذريا **(محمود ابراقن: دون سنة،ص.٧٠)**.

ومن هنا، فإن الدليل المميز هو الدليل الذي لا تكمن قيمته إلا إذا أثبت وجوده، في ذلك اللسان (بتقابله مع بقية الدلائل الأخرى التي تكون بالضرورة مغايرة وتفاضلية).

٦. التقطيع المزدوج

تعد صفة التقطيع المزدوج التي وضعها "أندري مارتني" الصفة التي تميز الألسن البشرية عن بقية أنظمة الاتصال الأخرى. والتي يقصد بها تجزئة مدرج الكلام إلى مقاطع صوتية أو تجزئة مدرج الدلالات إلى وحدات ذات معنى**(محمود ابراقن: دون سنة، ص.٧١)**.

حيث يكون التقطيع الأول عندما يجزأ الملفوظ اللغوي إلى وحدات دنيا دالة أي إلى "كلمات" تدعى وحدات دالة.

مثال: يتألف الملفوظ اللغوي "الأطفال يلعبون" من الوحدات الدالة الست الآتية:/ال/طفل/جمع تكسير/ ي / لعب/ ون/، بحيث إن كل عنصر من هذه العناصر يمكن أن يستبدل في المحيط نفسه بعناصر دالة أخرى تقع على

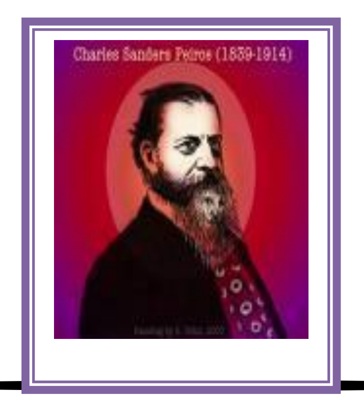
المحور الاستبدالي، كما يمكن لهذه العناصر أن تقع في محيط مختلف، عندما تقرن بوحدات دالة أخرى على المحور التركيبي.

أما التقطيع الثاني فيتم في تجزئة العنصر الدال بدوره إلى وحدات متعاقبة أصغر ومجردة من المعنى: أي إلى الوحدات المميزة المتجسدة من خلال الوحدات الصوتية الوظائفية (أي الحروف أو الفونيمات). مثال: تتألف كلمة "الأطفال" بدورها من أربع وحدات صوتية وظائفية (أل+أط+فا+ل)، حيث يمكن لكل وحدة من هذه الوحدات أن تستبدل بوحدات أخرى، في المحيط نفسه، أو تقرن بوحدات أخرى كي تألف وحدات دالة مختلفة **(محمود ابراقن: دون سنة، ص.٧١)**.

٢. المدرسة الأمريكية

في الفترة التاريخية التي كان يصوغ فيها "سوسير" تصوره الجديد للسانيات ويداعبه حلم في تأسيس علم جديد أطلق عليه السيميولوجيا، كان الفيلسوف الأمريكي شارلساندرس بيرس **(١٨٣٩-١٩١٤)** ينحت من جهته، انطلاقا من أسس ابستيمولوجية مغايرة، تصورا آخر لهذا العلم سيسميه السيميوطيقا. والسيميوطيقا عنده لا تنفصل من جهة عن المنطق باعتباره علم التفكير الصحيح. ولا تنفصل من جهة ثانية عن الفينومينولوجيا **(سعيد بنكراد:٢٠٠٣، ص.٥٨)**.

ونحاول في هذا المبحث التعرف على حياة "بيرس Peirce" ورؤيته لمفهوم العلامة ومكوناتها وتصنيفاتها عنده .



٢,١ التعريف برائد المدرسة الأمريكية تشارلس سندرس بيرس

ظهر تشارلس بيرس (Charles Sanders Peirce1839-1914) رائد الفكر الفلسفي البرجماتي، وتشارلسساندرس بيرس إبنٌ لعالم الرياضيات الكبير بنيامين بيرس، وجاء الابن عالماً في الرياضيات، وفيلسوفاً وعالم منطق، وقبل اشتغاله بالفلسفة، اشتغل عشر سنوات داخل معمل الكيمياء.

وقد نذر حياته خلال هذه الفترة لما عرف باسم العلوم المضبوطة، معنى هذا أنه عالم أرّقتهُ أزمة العلم والبحث العلمي، ويجمع المتخصصون على أن تشارلس بيرس هو أعظم الفلاسفة الأمريكيين قاطبة، ويرى البعض أن دراسته تعد منجماً غنياً لا ينفد من الأفكار الخاصة بالمنطق ونظرية المعرفة ومناهج البحث للعلوم وما يعرف باسم السيميوطيقا، وأثر أعماله تأثيرا واضحاً في المنطق الرياضي، وله جهود بارزة في مجال نظرية الاحتمالات ومنطق العلاقات. ولذا يعده البعض مؤسس المنطق الحديث **(http://www.lissaniat.net)**.

كما لم يكن (تشارل. س. بيرس) مجهولا خلال حياته في فرنسا. فقد شارك باعتباره عالم أرض في الندوة العالمية الأولى لعلماء الأرض التي انعقدت بباريس سنة (١٨٧٦).

قبل تقديم تعريف العلامة عند "بيرس" لابد، أولا، من تقديم تحليل المقولات العامة التي تقوم عليها العلامة. وفي هذا المضمار يميز "بيرس" ثلاثة عوامل تتمايز فيما بينها بواسطة ثلاث أنماط تلبسها الوجود وهي:

فالعالم يمْثُل أمامنا في مرحلة أولى على شكل أحاسيس ونوعيات مفصولة عن أي سياق زماني أو مكاني، وهذا ما يشكل مقولة **الأولانية**. وتشير هذه المقولة إلى الإمكان فقط، فلا شيء يوحي بأن معطياتها قد تتحقق في واقعة ما (**سعيد بنكراد:٢٠٠٣، ص ص. ٥٨-٥٩**). كما يسمى هذا العالم كذلك بعالم الأفكار أو الممكنات. ويشترط في هذه الأفكار أو الممكنات أن تكون مبهمة.

فالسعادة مثلا، قبل أن يكون هناك إنسان سعيد، لم تكن سوى حالة شعورية محتملة. ويمْثُل في مرحلة ثانية باعتباره وجودا فعليا يأخذ على عاتقه تجسيد الأحاسيس والنوعيات في وقائع مخصوصة وهو ما يشكل مقولة **الثانيانية** أو ما يسمى بعالم **الموضوعات**، وتشير هذه المقولة إلى التحقق الفعلي، (رجل سعيد مثلا). ثم يمْثُل أمامنا، في مرحلة ثالثة، باعتباره قانونا، أي باعتباره مفاهيم تجرد المعطى من بعده المحسوس لكي تكسوه بغطاء مفهومي، وفي هذه الحالة نكون أمام القانون الذي سيمكننا من التعرف استقبالا على هذه الوقائع، وهو ما يتطابق مع مقولة **الثالثانية**، وهي التي تجعلنا نؤول سلوكا ما باعتباره دالا على السعادة لا التعاسة. ويصوغ "بيرس" هذه السيرورة على الشكل التالي: أول يحيل على ثان عبر ثالث **(سعيد بنكراد:٢٠٠٣، ص.٥٩).**

وبهذا التصور تتحول السيميوطيقا إلى جهاز عملي غايته القصوى هي البحث عن مختلف الأنظمة الدالة وفي مختلف العلوم سواء كانت إنسانية أو عقلانية، لأن "بيرس" (Ch. S. Pierce)" أدرك أن هذه العلوم جميعها هي علوم تقوم على مبدأ العلامة.

إن العلامة في تصور "بيرس" هي الوجه الآخر لأوليات الإدراك، لذا لا يمكن تصور السيميوطيقا مفصولة عن عملية إدراك الذات وإدراك الآخر، إدراك "الأنا "وإدراك العالم الذي تتحرك داخله هذه " الأنا ". فالتجربة الإنسانية، كما سبقت الإشارة، تشتغل بكافة أبعادها كمهد للعلامات: لحياتها ولنموها ولموتها أيضا. فلا شيء يفلت من سلطان العلامة، ولا شيء يمكن أن يشتغل خارج نسق يحدد له سمكه وطرق إنتاجه لمعانيه، ولا وجود لشيء يحلق حرا طليقا لا تحكمه حدود ولا يحد من نزواته نسق **(سعيد بنكراد:٢٠٠٣، ص.٦٠).**

٢,٢ مفهوم العلامة عند بيرس

فنظام "بيرس" (Ch. S. Pierce)" السيميوطيقي هو عبارة عن مثلث (تشكل العلامة فيه الضلع الأول الذي له صلة حقيقية بالموضوع الذي يشكل الضلع الثاني المحدد للمعنى وأن الضلع الثالث أي المعنى هو علامة كذلك تعود على موضوعها الذي أنتج المعنى).

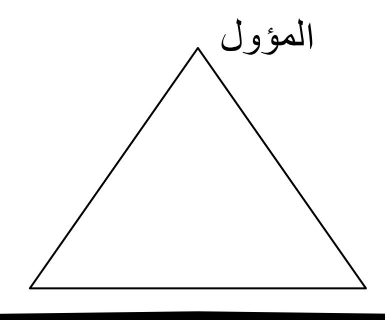
فالعلامة عنده متعددة الأوجه، وإذا تأملنا مفهوم "بيرس" (Ch. S. Pierce)" نجده يماثل عبد القاهر الجرجاني من حيث قابلية المفسرة لأن تتحول إلى متوالية من العلامات لها فضاء دالي غير محدد، يقول هذا الأخير (المعنى ومعنى المعنى) نعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ الذي نصل إليه بغير واسطة ومعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنا ثم يفضي بك هذا المعنى إل معنى آخر.يفهم من هذا القول أن المعنى (المدلول) قد يتحول إل المبنى (الدال) باحثا عن مدلول آخر أي أن المعنى و بحد ذاته علامة تعود على موضوعها الذي أفرز المعنى.

وبالتالي فالعلامة عند "بيرس" (Ch. S. Pierce)" تتكون من كيان ثلاثي **(بشير تاوريريت:٢٠٠٦، ص ص. ١٢٠-١٢١):**

الممثل (الماثول): هو صورة صوتية أو مرئية لكلمة ما.

الموضوع: وقد يكون واقعي أو قابل للتخيل أو غير قابل للتخيل أي الموضوع الديناميكي، وهو الشيء في العالم الموجودات، وثانيهما هو الموضوع المباشر، وشكل جزءا من أجزاء العلامة، وعنصرا من عناصرها المكونة.

المؤول: هو صورة ذهنية مترابطة مع كلمة أو غير مترابطة. وبهذا فهي تتبني على نظام رياضي منطقي قائم على نظام ثلاثي كما في الشكل الموالي:



الماثول الموضوع

فالعلامة إذن هي ماثول (représentamen) يحيل على موضوع (objet) عبر مؤول (interprétant). وهذه الحركة (سلسلة الإحالات) هي ما

يشكل في نظرية بيرس ما يطلق عليه السميوز، أي النشاط الترميزي الذي يقود إلى إنتاج الدلالة وتداولها.

وبعبارة أخرى، إن السميوز هي المسوؤلة على إقامة العلاقة السيميوطيقية الرابطة بين الماثول والموضوع عبر فعل التوسط الإلزامي الذي يقوم به المؤول. وعلى هذا الأساس، فإن السميوز تتحدد باعتبارها سيرورة يشتغل من خلالها شيء ما كعلامة، وتستدعي استيعاب الكون من خلال ثلاثة مستويات: ما يحضر في العيان وما يحضر في الأذهان وما يتجلى من خلال اللسان (**سعيد بنكراد:٢٠٠٣، ص.٦١).**

استنادا إلى هذا وجب النظر إلى العلامة باعتبارها وحدة ثلاثية المبنى غير قابلة للاختزال في عنصرين. فإذا كان "سوسير" يصر على استبعاد المرجع من تعريفه للعلامة ويعتبره معطى غير لساني، فإن "بيرس" ينظر إلى المسألة من زاوية أخرى. فبناء العلامة يرتكز، في تصوره، على فكرة الامتداد التي تجعل من الكون بكل مكوناته وحدة لا تنفصم عراها. فما يؤثث الكون ليس أشياء مادية، بل علامات، ونحن لا نتحاور مع واقع مصنوع من ماديات، بل نتداول هذا الواقع من خلال وجهه السيميولوجي، إننا " نحيى داخل كون رمزي، ...وبقدر ما يزداد النشاط الرمزي يتراجع الواقع " (**سعيد بنكراد:٢٠٠٣، ص.٦١).**

فالماثول إذن حسب "بيرس " هو شيء يعوض النسبة لشخص ما شيئا ما بأية صفة وبأية طريقة. إنه يخلق عنده علامة موازية أو علامة أكثر تطورا. إن العلامة التي يخلقها أطلق عليها مؤولا للعلامة الأولى، وهذه العلامة تحل محل شيء موضوعها "**(Ch. S. Pierce, 1978: 121)** .

وبناء عليه، يشغل الماثول كأداة نستعملها في التمثيل لشيء آخر. إنه لا يقوم إلا بالتمثيل، فهو لا يعرفننا على الشيء ولا يزيدنا معرفة به. ذلك أن موضوع العلامة هو ما يجعلها شيئا قابلا للتعرف، وهو، في الوقت نفسه، المعرفة المفترضة من خلال وجود باعث ومتلقي **(Ch. S. Pierce, 1978: 123)**.

ولمزيد من التوضيح يمكننا القول إن الماثول يقوم بنفس الدور الذي يقوم به الدال في التصور السوسيري.

أما عن الموضوع فهو ما يقوم الماثول بتمثيله، سواء كان هذا الشيء الممثل واقعيا، أو متخيلا أو قابلا للتخيل أو لا يمكن تخيله على الإطلاق. ويلخص "بيرس" هذه الملاحظة بقوله " إن موضوع العلامة هو المعرفة التي تفترضها العلامة لكي تأتي بمعلومات إضافية تخص هذا الموضوع" **(Ch. S. Pierce: 1978, p.123)**. ووضح بيرس هذا التعريف بقوله" إذا كان هناك شيء يحدد معلومات دون أن تكون لهذه المعلومات أدنى علاقة بما يعرفه الشخص الذي يستقبلها لحظة بثها (وستكون معلومة غريبة حقا)، فإن الأداة الحاملة لهذه المعلومات لا تسمى-في هذا الكتاب-علامة "**(Ch. S. Pierce: 1978, p.123)**.

وبناء على ذلك، فإن الموضوع لا يوجد له مقابل عند "سوسير، وعند الحديث عن موضوع ما داخل إحالات السيميوز لا يمكن أن ينفصل عن عملية الاتصال نفسها. فالمرسل والمستقبل يجب أن يمتلكا معرفة سابقة (معرفة مباشرة وهي المعطاة ومعرفة غير مباشرة وهي التي تدرك) عن موضوع ما لكي يكون هناك حوار.

مثال ذلك الجملة التالية: شجرة طويلة.فالموضوع المباشر هو إسناد صفة الطول إلى الشجرة، وهو أمر يدركه كل من له معرفة باللغة العربية، إما أن تكون الشجرة دالة على الخصوبة أو الوطن أو مضمون أسطوري آخر، فذلك أمر يتطلب معرفة بالثقافة التي تصاغ ضمنها هذه الجملة وهو ما يسميه بالتجربة الضمنية **(سعيد بنكراد:٢٠٠٣، ص.٦٦)**.

في حين يشير المؤول إلى عنصر ثالث داخل نسيج السيميوز، وعمادها وبؤرتها الرئيسة. فلا يمكننا الحديث عن العلامة إلا بوجود المؤول باعتبار العنصر الذي جعل الانتقال من الماثول إلى الموضوع، فهو الفكرة التي بموجبها يحيل **ماثول** ما على موضوع، أو هو التصور الذهني العام الذي نملكه عن الشيء الموجود في العالم الخارجي (**سعيد بنكراد:٢٠٠٣، ص.٦٧).**

وهذا ما وضعه "سوسير" فإذا أخذنا على سبيل المثال كلمة "حصان" فإن الدال هو الصورة الصوتية (يعني وجود أصوات ح -ص -ا-ن)، أما المدلول فهو -مفهوم الحصان. والعملية التي يجري إخضاع الدال لها وتتماشى والمدلول تسمى الدلالة. إذ أن الرابطة ما بين هذا الدال (الماثول) وما يقابله من مدلول (مؤول)، من حيث الجوهر -هي رابطة تواضعية وغير معللة (لأننا لا نستطيع أن نثبت، على سبيل المثال، أن الصورة الصوتية لكلمة "حصان" يحددها جوهر مفهوم "الحصان"). ولكن، مع ذلك فإن المواضعة الساكنة في أساس الدلالة وطيدة وثابتة (لا يوجد أحد من بين أعضاء المجتمع يستطيع أن يغيرها انطلاقاً من رغبته الفردية)، لقد تم "تحييد" هذه المواضعة.

ويتخذ الترابط بين العناصر الثلاثة المشكلة للعلامة الشكل التالي:
أداة للتمثيل، تستدعي موضوعا كشيء للتمثيل، وتستدعي مؤولا كرابط بين العنصرين، أي ما يوفر للماثول إمكانية تمثيل الموضوع بشكل تام داخل الواقعة الابلاغية:

مؤول

ماثول ===================== موضوع

الخط المتقطع يشير إلى أن العلاقة بين الماثول والموضع ليست مباشرة بل تمر عبر المؤول.

ولا يمكن إدراك ذلك إلا بتوفر مواصفات ثقافية تندرج ضمنها العلامات الخاصة بالسلوك والوقائع والأشياء، ثم إن وصف هذه التجربة وتصنيفها رهين بخروجها من دائرة –الفعل الخام- لكي تصبح كيانات ثقافية،

أي سلسلة من العلامات المندرجة ضمن سنن هي عماد التواصل الاجتماعي، وهي أساس بناء المجتمع ذاته **(سعيد بنكراد: ٢٠٠٧، ص ص ١٣-١٤).**

إن العلامة بهذا في راي سعيد بن كراد هي الشكل الرمزي الأمثل الذي يقوم بدور الوسيط بين الإنسان وعالمه الخرجي، وهي الأداة التي يستعملها في تنظيم تجربته بعيدا عن الإكراهات (أو الضوابط) التي يفرضها الاحتكاك المباشر مع معطيات الطبيعة الخام.بل يمكن القول استنادا إلى مثال ايكو نفسه: إن العلامة هي الأداة التي من خلالها تأنسن الإنسان وانفلت ممن ربقة الطبيعة ليلج عالم الثافة الرحب الذي سيهبه طاقات تعبيرية هائلة**(سعيد بنكراد: ٢٠٠٧، ص 9).**

أو بعبارة أخرى، ليعلمه كيف يعيش وكيف يدرك كنه الواقع ويحلله ويفهمه ويؤول رموزه التي تتعلق بحياة الإنسان كلها ويعبر عنه بواسطة اللغة.

الفصل الرابع

الإتجاهات السيميولوجية

تمهيد

تتعدد الاتجاهات السيميولوجية في الحقل الفكري الغربي، إلى اتجاهين الاتجاه الأمريكي والاتجاه الفرنسي، ويقسم محمد السرغيني الاتجاه الفرنسي إلى فروع على النحو التالي **(محمد السرغيني: دون سنة، ص ص:٥٥-٦٦):**

١. سيميولوجيا التواصل والإبلاغ كما عند جورج مونان.

٢. سيميولوجيا الدلالة الذي ينقسم بدوره إلى الأشكال التالية:

- اتجاه "بارت وميتز" الذي يحاول تطبيق اللغة على الأنساق غير اللفظية.
- اتجاه مدرسة باريس الذي يضم: "ميشيل أريفي" و"كلود كوكيه" و"غريماس".
- اتجاه السيميوطيقا المادية مع جوليا كرستيفا.
- اتجاه الأشكال الرمزية مع مولينو(J.molino) وجان جاك ناتيي (J.Natier)، أو ما يسمى مدرسة " أيكس (Aix)".

في حين يفضل مبارك حنون التقسيم التالي **(مبارك حنون: ١٩٨٧، ص. ٨٥):**

سيميولوجيا التواصل، سيميولوجيا الدلالة، و سيميوطيقا "بيرس **Ch. Peirce**"، ورمزية "كاسيرر **Cassirer**" و"سيميولوجيا الثقافة" مع الباحثين الروس "يوري لوتمان و أوسبانسكي وإيفانوف وطوبوروف"، والباحثين الإيطاليين "أمبرطو إيكو (Eco" و"روسي لاندي **Landi"...).**

ولكن على الرغم من هذه الاتجاهات العديدة يمكن التركيز على ثلاثة اتجاهات سيميولوجية هما: سيميولوجيا التواصل، وسيميولوجيا الدلالة، وسيميولوجيا الثقافة.

١. سيميولوجيا التواصل

كان ميلاد سيميولوجيا التواصل مع "أريك بويسنس"، الذي نشر في سنة (١٩٤٣) اللغات والخطابات محاولة في اللسانيات الوظيفية في إطار السيميولوجيا، ثم أعاد النظر في الكتاب، ونشر من جديد سنة (١٩٦٧)، تحت عنوان: التواصل والتعبير اللساني، المطبوعات الجامعية ببروكسل **(دليلة مرسلي وآخرون: ١٩٩٥، ص.١٥).**

وبهذا سيكون "أريك بويسنس" من أوائل المناصرين للسانيين من أمثال "بارييطو" و"جورج مونان"، جان مارتيني، في تحديدهم سيميولوجيا التواصل، وفي وضعهم لمبادئها وأسسها:حيث يمكن أن تعرف باعتبارها دراسة طرق التواصل، أي دراسة الوسائل المستخدمة للتأثير على الغير والمعترف بها بتلك الصفة من قبل الشخص الذي نتوخى التأثير عليه **(دليلة مرسلي وآخرون: ١٩٩٥، ص.١٥).**

ففعل التواصل والفعل الذي عن طريقه يقوم شخص ما مدركا لواقعة قابلة للملاحظة ومرتبطة بحالة وعي، بتحقيق هذه الواقعة لكي يفهم شخص آخر الهدف من هذا السلوك ويعيد في وعيه تشكيل ما حصل في وعي الشخص الأول **(علي زغينة: ٢٠٠٢، ص. ٢٦٥).**

كما أن التواصل لا يقتصر فقط على توصيل الرسائل اللفظية الصريحة أو القصدية؛ فالتواصل كما نتصوره يشمل مجموع العمليات التي يتبادل بها المتخاطبين التأثير. لأن القارئ قد يتعرف بهذا على أن هذا التحديد يقوم على مسلمة كون كل فعل وكل حدث يوفران مظاهر تواصلية، بمجرد ما يتم إدراكهما من قبل كائن إنساني (**Y.Winkin, 2001, p. 55**).

ولهذا نفهم ملاحظات العالم الأنثروبولوجي الأمريكي "دِيلْ هَايْمَسْ" حينما ذهب إلى أن الأنثروبولوجيا ينبغي لها أن تراعي التحديدات المحلية

للتواصل، ففي المجتمعات الحديثة يشير التواصل إلى تبادل المعلومات بين شخصين أو نقل المعلومات عبر وسائل الاتصال، وهذا ما لا نجده في المجتمعات أو الثقافات القديمة.

ففي ثقافة هنود أُجِيبْوَا مثلاً يسلم الناس بأن الآلهة تخاطبهم بواسطة البرق؛ وأن الأحجار هي علامات وضعتها الآلهة مرتبة في الخلاء لمساعدة الرجال والاهتداء بها لقطع الفيافي، كما أن كهول قبائل "الزُّونِي" التي تسمع الذئاب تعوي خلال الليل المخيم يزعمون أنهم يستطيعون أن يعيدوا ترجمة حواراتهم للأطفال، وحسب "هَايْمَسْ" فإن كل هذه الوقائع هي من قبيل التواصل (**http://www.lissaniat.net**).

و تهدف سيميولوجيا التواصل عبر علاماتها إلى الإبلاغ والتأثير على الغير عن وعي أو غير وعي. كما أن التواصل نوعان: تواصل إبلاغي لساني لفظي (اللغة) وتواصل إبلاغي غير لساني (علامات المرور مثلا)،ولهذا يعتبر كل من "بريبطو (Prieto) " و"مونان (Mounin) " و"بويسنس (Buyssens)" الدليل مجرد أداة تواصلية تؤدي وظيفة التبليغ وتحمل قصدا تواصليا، وهذا القصد التواصلي حاضر في الأنساق اللغوية وغير اللغوية، كما أن الوظيفة الأولية للغة هي التأثير على المخاطب من خلال ثنائية الأوامر والنواهي، ولكن هذا التأثير قد يكون مقصودا وقد لا يكون مقصودا، و يستخدم في ذلك مجموعة من الأمارات التي يمكن تقسيمها إلى ثلاث هي (**http://www.marocsite.com**):

١.**الأمارات العفوية**: وهي وقائع ذات قصد مغاير للإشارة تحمل إبلاغا عفويا وطبيعيا مثال: لون السماء الذي يشير بالنسبة لصياد السمك إلى حالة البحر يوم غد. والأمارات العفوية المغلوطة التي تريد أن تخفي الدلالات التواصلية للغة كأن يستعمل متكلم ما لكنة لغوية ينتحل من خلالها شخصية أجنبية ليوهمنا بأنه غريب عن البلد.

٢. **الأمارات القصدية:** التي تهدف إلى تبليغ إرسالية مثل: علامات المرور، وتسمى هذه الأمارات القصدية أيضا بالعلامات. فكل خطاب لغوي وغير لغوي يتجاوز الدلالة إلى الإبلاغ والقصدية الوظيفية، يمكننا إدراجه ضمن سيميولوجيا التواصل، وكمثال لتبسيط ما سلف ذكره: عندما يستعمل الأستاذ داخل قسمه مجموعة من الإشارات اللفظية وغير اللفظية الموجهة إلى التلميذ ليؤنبه أو يعاتبه على سلوكياته الطائشة فإن الغرض منها هو التواصل والتبليغ.وهذا ما اكده "رومان جاكبسون **(Roman Jakobson)**" (*) فإذا كانت

(*) ولد **"رومان جاكبسون (Roman Jakobson)"** بموسكو في الحادي عشر من تشرين الأول من عام (١٨٩٦)، من عائلة يهودية روسية برجوازية ميسورة الحال، تهتم كثيرا بالأسفار وترسل أولادها إلى البندقية وباريس وألمانيا ليتعلموا اللغات منذ نعومة أظفارهم **(فاطمة الطبال بركة:١٩٩٣، ص. ١٥)**.

ففي هذا البيت الحافل بالكتب والأدوات الموسيقية نشأ رومان جاكبسون، وقد كان والداه يهتمان بالرسم والانفتاح على الثقافات الأجنبية والأفكار الجديدة، وكان يتمتعان بثقافة مرموقة، فوالده كان يحمل شهادة في الهندسة ويحب الأبحاث والعلوم.إلا أنه اضطر، وفي فترة ضيق اقتصادي مرّ بها، لأن يعمل في مصنع، وكان جاكبسون الأب يتمتع بقدرة عجيبه على التكيف مع محيطه، وهذه المــرونة انعكست على رومان الصغير لتظهر واضحة جليلة في موهبة التقليد عنده فيما بعد إذ أنه كان باستطاعته أن يقلد شخصية صديق له بحركاته ونبرة صوته وحتى في همسه، فكان عندما يقلده يبدو كأنه قد تقمص هذا الصديق**(فاطمة الطبال بركة:١٩٩٣، ص. ١٥)**.

كما تلقى جاكبسون علومه في مؤسسة لازاريف (Lazarev)، وفي هذه المرحلة عرف جاكبسون أساتذة مرموقين كان من بينهم أستاذ اللغة الروسية بوغدانوف (Bogdanov) الذي ترك بصمات واضحة في حياة "جاكبسون".

كما كان مولعا بالمطالعة منذ الصغر، فأتقن اللغة الفرنسية، وتعلم الألمانية واللاتينية، كما اهتم بالشعر، وقرأ لكبار الشعراء الروس خاصة، حتى أنه حلل شعر "مالارمية"، وهو

السيميولوجيا تعد "العلم العام لكل أنساق التواصل اللسانية وغير اللسانية" فإن مفهوم التواصل بدوره سيتغير تبعا لذلك، إذ، إن الوظيفة التواصلية لا تقتصر على اللغة وحدها وإنما هي مرتبطة بجميع الأنساق التواصلية القصدية والدالة، ونعني هنا بالقصدية ذلك الوعي الإنساني الذاتي الذي يدفعه لممارسة سلوك تواصلي، فالقصد جوهر السيرورة التواصلية وعماد المعنى، ولا يمكن أن يكون فعلا نابعا من الضرورات الطبيعة التي تمليها الحاجات العضوية للإنسان، ومن هنا ينبثق الوعي الذي يؤلف ما يطلق عليه كاسيرر (**Cassierer**) بالمبدأ الرمزي"(**أحمد يوسف:٢٠٠٥، ص.٤٦).**

في سن الثانية عشر، و نظم الشعر وهو في الخامسة عشر واهتم بالفلكلور وهو ابن السادسة عشر، وهكذا تكونت شخصيته المتميزة وعالمه الخاص(**بوقرة نعمان:٢٠٠٦ ،ص.١٠٦).**

وهكذا بدأ جاكبسون يكون شخصيته المميزة وعالمه الخاص، وهاهو في سنة(١٩٢٠) يترك موسكو وينتقل إلى براغ ليعمل كمترجم فوري في بعثة الصليب الأحمر السوفياتي وليساهم في إعادة أسرى الحرب الذين كانوا محتجزين في مخيم تجميع يعود لليونان، وفي هذه المدينة، قدم أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه عام (١٩٣٠) **(فاطمة الطبال بركة:١٩٩٣، ص. ١٩)**.

توفي جاكبسون عام (١٩٨٢) بعد أن أمضى حياة مليئة بالعمل والبحث والدراسة. ومن أهم وأشهر مؤلفاته هو كتابه لذي يحمل عنوان (دراسات في اللسانيات العامة) (Essais de Linguistique Générale)، ويقع في جزئين.

وككل عملية اتصالية فإن التواصل البصري يمكن إجماله وتوضيحه في ست عناصر هي :المرجع، المرسل، الرسالة أو الخطاب، الرمز، القناة الاتصالية، و المرسل إليه.

١.**المرجع** :يتم استخلاصه من خلال مضمون الخطاب البصري، أو وضعية المرسل والمتلقي أو من خلال الأشياء الحقيقية التي يرجع إليها الخطاب أو ينبعث منها.

٢.**المرسل**:و هو الشخص أو مجموعة الأشخاص الذي يود أن يؤثر في الآخرين بشكل معين يشاركوه في أفكار أو اتجاهات أو خبرات معنية مثل الفنانين...أو رجل العلاقات العامة...الخ.

٣.**الرسالة البصرية أو الخطاب البصري**: هي الموضوعات أو الأفكار و الحقائق ذات الأهداف المحدودة و الموجهة التي تحمل المعاني التي يرغب صاحب الصورة في توصيلها إلى المستقبل .

و الرسالة تمثل مضمون الاتصال و على أساس هذا المضمون فإن الرسائل تختلف في أنواعها طبقا لاختلاف هذا المحتوى حيث يمكن التمييز بين أربعة أنواع من الرسائل هي:

- **الرسائل الوظيفية**

و هي الرسائل التي تنقل الجانب الموضوعي الخارجي من المعلومات و تتركز حول العمل أساسا.

- **الرسائل الواقعية**

و هي مجموعة الأخبار و المعلومات و التعليمات التي تدور حول الأحداث و تنشرها الصحف و تذيعها الإذاعات.

- **الرسائل العاطفية**

وهي التي تعبر عن المشاعر و الانفعالات و تتوجه إلى العلاقات أساسا كما هو شأن المحبين أو شأن التواصل بين الرضيع و أمه (**فرج الكاحل:١٩٨٥، ص. ٧٩).**

- **الرسائل الخيالية**

و يقصد بها القصص و المسرحيات و التمثيليات و الأغاني و ما إلى ذلك من الأساليب الفنية.

٤. **الرمز (le code):** هو عبارة عن مجموعة من المساطير والعلامات التي يبحث عنها المرسل لتركيب وتبليغ خطابه encodage.

٥. **قناة الاتصال**: من خلال وسيلة الاتصال تتم عملية المشاركة في

المعلومات بين المرسل و المستقبل التي تتضمن بدورها رسالة مرسلة " **(أبو النجا العمري: ١٩٨٦، ص.٣٨).**

٦. **المستقبل أو المرسل إليه:** هو الفرد أو الجماهير التي يوجه إليها المرسل رسالته كالصديق الذي يستمع إلى صديقه، و المستقبل في عملية الاتصال هو الشخص أو مجموعة الأشخاص الذي يتلقي أو يستقبل محاولات التأثير الصادرة عن الباعث. انطلاقا من العناصر الست للاتصال البصري التي حددها رومان جاكبسون في المخطط التالي**(فاطمة الطبال بركة:١٩٩٣، ص ص.٦٤-٦٥)**:

سياق

مرسل ———— رسالة ———— مستقبل

اتصال

نظام رموز

فالمرسل (أو المتكلم أو المرمز) هو مصدر المرسلة، أي المكان الذي تنعقد فيه خيوط المرسلة وتكتمل. فضلا عن إن مصطلح (مرسل) لا يطلق على الأشخاص وحدهم بل يطلق على الأجهزة أيضا... أما المرسل إليه أو المستقبل، فهو الذي يقوم بفك الرموز وفهم النص. والمرسلة ترتكز عل المخزون اللغوي الذي يختار منه المرسل ما يحتاج إليه للتعبير، ثم ينضمه في مقولة يبثها إلى المرسل إليه.ولكنها لا يمكن إن تفهم أو تنفذ إلا ضمن سياق (المرجع) نردها إليه.ويمكن فهمه من قبل المتلقى. ثم تأخذ المرسلة نظاما مشتركا بين باعث وفاك للرموز. وأخيرا لابد من وجود قناة اتصال بين المرسل والمرسل إليه لإقامة التواصل.

إن كل واحد من هذه العناصر الستة (الظاهرة في الرسم) يولد وظيفة لغوية مختلفة، وقد كان "بوهلر " قد حصر الوظائف اللغوية في ثلاث هي(**فاطمة الطبال بركة:١٩٩٣، ص ص.٦٥-٦٦):**

١.**وظيفة تمثيلية**: ترجع إلى موضوع الحديث أي إلى المحتوى الارجاعي (وظيفة وصفية).

٢. **وظيفة تعبيرية**: وهي ترجع إلى المتحدث وتشير إلى حالته الفكرية والعاطفية بالمرسلة.

٣. **وظيفة ندائية**: وترجع إلى المخاطب وتورطه في التواصل كطرف مرتبط ومعني بالمرسلة.

إلا أن جاكبسون طور نظرية "بوهلر" معتبرا إن الكلام الذي يبعثه المرسل إلى المتلقى بواسطة قناة الاتصال له وظائف لغوية يمكن حصرها في ست وظائف بقوم كل منها على التركيز على احد العوامل التواصلية التي سبق أن اشرنا إليها في الرسم البياني. وتتأتى كل منها من طبيعة العلاقة بين المتكلم والمتلقي، وبينه وبين العالم المحيط به. مما يتيح الحصول على فئات دلالية.

وعليه فقد حدد " رومان جاكبسون"(١٨٩٦-١٩٨٢) **الوظائف** الاتصالية للغة والتي يمكن أن نسقطها على الصورة في ستة وظائف هي **(فاطمة الطبال بركة:١٩٩٣، ص ص.٦٦ -٦٧):**

١. **الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية:** وهي تحدد العلاقة بين المرسل والمرسل إليه وموقفه منها. فالمرسلة أو الصورة في صدورها تدل على طابع مرسلها وتكشف عن حالته، فضلا عما تحمله من أفكار تعلق بشيء ما(المرجع) يعبر المرسل عن مشاعره حياله.

٢. **الوظيفة الندائية:** وتدخل الجمل الأمرية ضمن هذه الوظيفة، وهي توجد كما يستدل من اسمها في الجمل التي ينادي بها المرسل إليه لإثارة انتباهه أو ليطلب منه القيام بعمل من الأعمال.

٣. **وظيفة إقامة الاتصال:**وذلك حين يقيم المرسل اتصالا مع المرسل إليه ويحاول الإبقاء على هذا الاتصال. وهنا تظهر ألفاظ مثل (الو) وغيرها من الألفاظ التي لا تملك أي معنى أو هدف سواء إبقاء الاتصال. ومصطلح إقامة التواصل هذا أوجده "مالينوفسكي" للدلالة على أهمية اللسان الذي يقوي ويشد وشائج الصلة بين الناس عبر تبادل الكلمات البسيطة دون أن تكون النية منه تبادل الأفكار.

٤. **وظيفة ما وراء اللغة**:هناك مستويين من اللغة – المادة (اللغة - الهدف) وتتكلم عن الأشياء المحسوسة، واللغة الماورائية (أو ما وراء اللغة) وتتكلم عن اللغة نفسها، فالوظيفة الماورائية إذن تظهر في المرسلات التي تكون اللغة نفسها مادة دراستها، أي التي تقوم على وصف اللغة وذكر عناصرها وتعريف مفرداتها. وهذا ما نجده في الصورة التي تحمل معاني ورموز دلالية وما على المتلقي إلا فك هذه الرموز واستدلال معانيها.

٥. **الوظيفة المرجعية:** وهي في أساس كل تواصل. فهي تحدد العلاقات بين المرسلة والشيء أو الغرض الذي ترجع إليه. وهي أكثر وظائف اللغة أهمية في عملية التواصل ذاتها. فهذه الوظيفة المسماة (تعيينية)، أو (تعريفية)، أو (مرجعية) هي العمل الرئيسي للعديد من المرسلات، في حين لا تمارس الوظائف الأخرى، في مرسلات كهذه ، سوى دور ثانوي.

٦. **الوظيفة الشعرية:** وذلك حين تكون المرسلة معدة لذاتها: كما في النصوص الفنية اللغوية (مثل القصائد الشعرية، وغيرها). فهي كذلك تؤدي إلى إضافة قيمة انفعالية وهذا يكون عندما تقوم بعض المؤسسات بالاعتماد على الفنانين والرياضيين في بعض الصور الإشهارية مثلا.

٢. سيميولوجيا الدلالة

يعتبر "رولان بارت[*] خير من يمثل هذا الاتجاه، لأن البحث السيميولوجي لديه هو دراسة الأنظمة والأنسقة الدالة، فجميع الوقائع والأشكال الرمزية والأنظمة اللغوية تدل، فهناك من يدل باللغة وهناك من يدل بدون اللغة

---

[*] "رولان بارث" هو ناقد وأديب ولغوي وسيميولوجي وعالم اجتماع وأنثر بولوجي فرنسي ولد سنة (١٩١٥-١٩٨٠) ونشأ في بايلون وباريس نال شهادة في الدراسات الكلاسيكية من جامعة السربون سنة (١٩٣٩) وبعد الحرب العالمية مباشرة درس في جامعتي بوخاريست والإسكندرية ودرس منذ عام (١٩٦٠) في الكلية العملية للدراسات العليا في باريس في سنة (١٩٧٦) أصبح أستاذ في علم السيميولوجيا الأدبية في كوليج دي فرانس **(جون ستروك: ١٩٩٦، ص.٩٦).** واهتم بالنقد الأدبي فثار على المناهج المتوارثة حتى شك بقيمة ما تلقنه الدراسات الجامعية الكلاسيكية في ميدان الأدب.عمل على إرساء قواعد نقد حديث، فكان كتابه "الدرجة الصفر في الكتابة" بيانا احتوى على فلسفته في الخطاب الأدبي تعريفا ونقدا، بحيث أرسى قواعد منهج نقدي نصي.ثم اتجهت عناية بارت إلى علم "السيميولوجيا" فحاول أن يكتشف قوانين الدلالة عامة معارضا فكرة قدسية المؤلف وقدسية الأثر.كما سعى إلى الكشف عن الروابط العميقة بين الإنسان والسيميولوجيا عموما **(فاطمة الطبال بركة: ١٩٩٣، ص٢٥٥).**

المعهودة، بيد أن لها لغة خاصة ومادامت الأنساق والوقائع كلها دالة، فلا عيب من تطبيق المقاييس اللسانية على الوقائع غير اللفظية أي الأنظمة السيميولوجية غير اللسانية لبناء الطرح الدلالي، وقد انتقد "بارت" في كتابه " عناصر السيميولوجيا" الأطروحة السوسيرية التي تدعو إلى إدماج اللسانيات في السيميولوجيا مبينا بأن" اللسانيات ليست فرعا، ولو كان مميزا، من علم العلامات، بل السيميولوجيا هي التي تشكل فرعا من اللسانيات **(مبارك حنون:١٩٨٧ ، ص.٧٦)** .

وبالتالي تجاوز "رولان بارت" تصور الوظيفيين الذين ربطوا بين العلامات والقصدية، وأكد وجود أنساق غير لفظية حيث التواصل غير إرادي، ولكن البعد الدلالي موجود بدرجة كبيرة، وتعتبر اللغة الوسيلة الوحيدة التي تجعل هذه الأنساق والأشياء غير اللفظية دالة، حيث إن كل المجالات المعرفية ذات العمق السوسيولوجي الحقيقي تفرض علينا مواجهة اللغة، ذلك أن " الأشياء" تحمل دلالات، غير أنه ما كان لها أن تكون أنساقا سيميولوجية أو أنساقا دالة لولا تدخل اللغة ولولا امتزاجها باللغة، فهي إذاً تكتسب صفة النسق السيميولوجي من اللغة، وهذا ما دفع ببارت إلى أن يرى أنه من الصعب جدا تصور إمكان وجود مدلولات نسق صور أو أشياء خارج اللغة، فلا وجود لمعنى إلا لما هو مسمى، وعالم المدلولات ليس سوى عالم اللغة **(مبارك حنون:١٩٨٧، ص.٧٤)**.

أما عناصر سيميولوجيا الدلالة لدى "بارت" فقد حددها في كتابه" عناصر السيميولوجيا"، وهي مستقاة على شكل ثنائيات من اللسانيات البنيوية وهي: اللغة والكلام، والدال والمدلول، والمركب والنظام، والتقرير والإيحاء (الدلالة الذاتية والدلالة الإيحائية). وهكذا حاول "رولان بارت" الاستعانة باللسانيات لمقاربة الظواهر السيميولوجية كأنظمة الموضة والأساطير والإشهار... الخ**(http://www.marocsite.com)**.

ويعني هذا أن "رولان بارت" عندما يدرس الموضة مثلا يطبق عليها المقاربة اللسانية تفكيكا وتركيبا من خلال استقراء معاني الموضة ودلالات

الأزياء وتعيين وحداتها الدالة ومقصدياتها الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والثقافية، ونفس الشيء في قراءته للطبخ والصور الفوتوغرافية والإشهار واللوحات البصرية.

كما يمكن إدراج المدارس السيميولوجية النصية التطبيقية التي تقارب الإبداع الأدبي والفني ضمن سيميولوجيا الدلالة، بينما سيميولوجيا الثقافة التي تبحث عن القصدية والوظيفة داخل الظواهر الثقافية والإثنية البشرية يمكن إدراجها ضمن سيميولوجيا التواصل، ولتبسيط سيميولوجيا الدلالة نقول: إن أزياء الموضة وحدات دالة إذ يمكن أثناء دراسة الألوان والأشكال لسانيا أن نبحث عن دلالاتها الاجتماعية والطبقية والنفسية، كما ينبغي البحث أثناء تحليلنا للنصوص الشعرية عن دلالات الرموز والأساطير ومعاني البحور الشعرية الموظفة ودلالات تشغيل معجم التصوف أو الطبيعة أو أي معجم آخر(**http://www.marocsite.com**).

٣. سيميولوجيا الثقافة

مما لا شك فيه أن اللغة ترتبط بمفهوم اجتماعي جمعي في ممارستها واكتسابها، ففي أحضان المجتمع نشأت اللغة وولدت يوم أحس أفراده بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم، كما أنها ترتبط بمفهوم **الثقافة** كما يحدده الأنثروبولوجيون، فكل فرد من أفراد المجتمع يمارس مجموعة من السلوكيات المادية والمعتقدات المعنوية التي تصل إلى عقله ووجدانه من خلال اللغة التي تعتبر وعاء لهذه الثقافة، ولقد كان هذا الارتباط الوثيق بين اللغة والثقافة يقف وراء الاهتمام الذي أبداه الأنثروبولوجيون لدراسة لغات المجتمعات التي اهتموا بها لأنها تعتبر المفتاح الذي يساعدهم على الولوج إلى هذه المجتمعات ومعايشتها(**كريم زكي حسام الدين، ٢٠٠١، ص٥٧**).

فالمجتمعات لم تعرف **الثقافة** إلا عندما عرف الإنسان كيف يشير إلى الأشياء والعلاقات، أي أن ظهور الثقافة قد ارتبط بظهور الرموز أو العلامات التي تكون نظام اللغة، وإذا كانت كلمة ثقافة تشير في كتابات الأنثروبولوجيين إلى أسلوب الحياة السائدة في مجتمع ما، فان هذا يعني وجود علاقة وثيقة بين اللغة والثقافة(**كريم زكي حسام الدين، ٢٠٠١، ص٥٧**).

وعليه تنطلق **سيميولوجيا الثقافة** من اعتبار الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية وأنساقا دلالية، والثقافة عبارة عن إسناد وظيفة للأشياء الطبيعية وتسميتها وتذكرها، وعلى هذا، ترتبط السيميولوجيا باللسانيات وخاصة اللسانيات البنيوية والتحليلية ولسانيات الخطاب **(ميشال أريفيه وآخرون: ١٩٩٠، ص.٣٢).**

وعلى ذلك **فالثقافة** ليست الفن، ولا المتاحف، والمسارح والأعمال الأثرية الجميلة، ولا هي المعلومات الرقيقة المستوى الشاملة في علوم العصر، ولا هي حسن المظهر وسمو السلوك الخارجي، ولا هي الروح المعنوية، أو الأخلاق الرفيعة، ولا هي روح الحضارة، أو قمة التقدم المادي في مجتمع من المجتمعات.

ولكن الثقافة بالمعنى المجرد العام تطلق مقابل طبيعية فهي العبقرية الإنسانية مضافة إلى الطبيعة بغية تحوير عطاءاتها واغنائها وتنميتها.لذلك فهي الحذق والإتقان وضبط الأحوال، والمعرفة بجيد الشيء ورديئه، وإقامة ما يعرف على أحسن وجه، وثقف الشيء ويثقفه ثقفا أي حذقه وأتقنه، وكان سريع الفهم لجيده ورديئه**(حسين عبد الحميد أحمد رشوان، ٢٠٠٦، ص ٥).**

وعليه فقد عرف "إميل هنريو" **الثقافة** بأنها ما يبقى لإنسان حينما ينسى كل شيء"، قد يلخص معاني كثيرة من حيث إنه يصهرها في هذه البقية المحصلة، المقاومة للنسيان الملازم لفترات التلقي وأطوار التعليم والمستحيلة إلى كفاءات واستطاعات.وبصفة أوسع وأدق نقول إن **الثقافة** تكمن إذن في اكتساب القدرة على الاضطلاع بالإرث التاريخي والالتزام أيضا بمهمة صعبة بقدر ما هي ضرورية، ألا وهو الانضواء الفاعل الايجابي في الحداثة المبدعة والمعرفة من أجل ترقية الحياة **(بن سالم حِميش، ٢٠٠٤، ص ١٦).**

ولهذا تعتبر **الثقافة** نتاج التفاعل بين الإنسان الفرد ومجتمعه، حيث يتمثل الفرد ثقافة مجتمعه الذي نشأ فيه ويعيش وتنمو شخصيته فيه نموا متسقا ومتوافقا مع متطلبات ذلك المجتمع.

ويبدو، ضمن هذا المنظور، أن الثقافة ترسخ التجربة السابقة بواسطة التذكر أو الصناعة التذكرية، فالإنسان يراكم ويعد الأخبار المستعمل لإدخال تصحيحات ضرورية في برامج التذكرية، ويعني ذلك أن حصيلة عمل الإنسان تكمن في سلوك ذي معنى، وهذا السلوك ليس سوى إنجاز لبرنامج معين، وهذا البرنامج المعين هو الثقافة **(مبارك حنون:١٩٨٧، ص٨٧)**.

وبناءً على هذا التصور، فإن السيميوطيقا هي العلم الذي يعنى بدراسة الظواهر الثقافية باعتبارها عمليات تواصلية، وبالتالي فإنه يمكن للظواهر الثقافية –ويجب عليها-أن تصير موضوعات للتواصل، ومن ثمة تعود كل ظاهرة ثقافية، بالضرورة إلى السيميوطيقا.

وإذا كانت السيميوطيقا تعنى بالثقافة في شموليتها، وكانت العلوم تعني بظواهر خاصة من سيميوطيقا الثقافة، فان السيميوطيقا تشمل مختلف العلوم وترادف إلى حد ما الابستيمولوجيا **(مبارك حنون:١٩٨٧، ص.٨٩)**.

وبناء على ذلك، صار التحليل السيميولوجي تصورا نظريا ومنهجا تطبيقيا في شتى المعارف والدراسات الإنسانية والفكرية والعلمية وأداة في مقاربة الأنساق اللغوية وغير اللغوية، وأصبح هذا التحليل مفتاحا لابد من الالتجاء إليها قصد الفهم والتحكم في آليات التأويل والقراءة.

و قد بين الباحث الدانماركي "لويس يامسلاف" الغرض من التحليل السميولوجي قائلا : "هو مجموعة التقنيات و الخطوات المستخدمة لوصف و تحليل شيء باعتباره له دلالة في حد ذاته و بإقامته علاقات مع أطراف أخرى من جهة أخرى، و يمثل التحليل السميولوجي بالنسبة لـ "رولان بارث" شكل من أشكال البحث الدقيق في المستويات العميقة للرسائل الأيقونية أو الألسنية على حد سواء، يلتزم فيه الباحث بالحياء اتجاه هذه الرسالة من جهة، و يسعى فيه من جهة أخرى إلى تحقيق التكامل من خلال التطرق إلى الجوانب الأخرى السيكولوجية، الاجتماعية، الثقافية ...) التي يمكن أن تدعم التحليل بشكل أو بآخر **(فايزة يخلف، ١٩٩٨، ص ١٧)**.

حيث يهتم تحليل المضمون السيميولوجي، بالتحليل الكيفي لنظام الرسائل بمعنى الكشف عن المعنى الحقيقي للرسائل، كذا المعاني الخفية الغائبة عن ذهن القارئ، لهذا يفيد هذا المنهج في الرفع من القيمة الجمالية والاتصالية للصورة وتطوير حسن الملاحظة ودقة النظر واكتساب المعارف وتوسيعها.

لهذا الغرض سنحاول إجراء مغامرة **سيميولوجية** عما تود إبلاغه الصورة الفنية للمستشرق الفرنسي ناصر الدين دينيه عن **الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري** في فترة معينة من الزمن، بنفس الطريقة المعتمدة من طرف "مارتين جولي" في تحليل الصورة كما سيتبين ذلك لاحقا.

وعلى هذا الأساس الذي قدمه (**Laurent Gervereu**) "لوران جير فيرو" طريقته في تحليل الصورة، وهي الطريقة التي سنعتمدها في هذه المغامرة كونها طريقة واضحة الخطوات ويسيرة من حيث التطبيق، كما تعتبر طريقة شاملة في تحليل الصورة الثابتة بجميع أنواعها ومجالاتها وعلى رأسها الصورة الفنية.

وعلى حد تعبير "جير فيرو" "ما يهم السيميولوجي" (الباحث في السيميولوجيا) هو معنى الصورة، ما الذي أراد أن يعبر عنه الفنان وما هي الرموز التي استعملها من أجل ذلك، وبالتالي الباحث يدخل الصورة في شبكة تحليل بحيث يهتم بمكونات هذه الصورة ودلالات هذه المكونات...وعلى هذا فالسيميولوجيون يتجاوزون في دراستهم ما نسيميه بـ"الدال" أي المعنى الأولي القاعدي إلى المدلول أي المعنى الاسقاطي(**Laurent Gervereau, *1997, p.34-38***)**.**

ومن هذا المنطلق نطرح التساؤل الرئيس التالي :

- ما أهم المقاربات السيمولوجية التي تتميز بها صورة الفنان دينيه حول الهوية الثقافية(*) للمجتمع الجزائري ؟

(*) **المقصود بالهوية الثقافية** تلك المبادئ الأصلية السامية والذاتية النابعة من الأفراد أو الشعوب، وتلك ركائز الإنسان التي تمثل كيانه الشخصي الروحي والمادي بتفاعل صورتي

ويندرج ضمن هذا الطرح الرئيسي التساؤلات الفرعية التالية:

١. ما هي المعاني التي تكمن وراء الأشكال والخطوط والألوان في لوحة ناصر الدين دينيه محل الدراسة؟
٢. هل استطاعت لوحة "دينيه" محل الدراسة أن تعكس البيئة الثقافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري في الفترة التي تناولتها كسياق تاريخي؟
٣. ما هي الرسالة التي نستخلصها من لوحة "دينيه" محل الدراسة؟


صورة **فتيات ترقص وتغني للفنان دينيه**



هذا الكيان، لإثبات هوية أو شخصية الفرد أو المجتمع أو الشعوب، بحيث يحس ويشعر كل فرد بانتمائه الأصلي لمجتمع ما، يخصصه ويميزه عن باقي المجتمعات الأخرى.والهوية الثقافية تمثل كل الجوانب الحياتية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحضارية والمستقبلية، لأعضاء الجماعة الموحدة التي ينتمي إليها الأفراد بالحس والشعور الانتمائي لها.وأيضا هي ذاتية الإنسان ونقاءه وجمالياته وقيمه، بحيث تعتبر الثقافة هي المحرك لأي حضارة أو امة في توجيهها وضبطها،أي هي من التي تحكم حركة الإبداع والإنتاج المعرفي **(زغود محمد: ٢٠١٠، ص ص ٩٣-١٠١).**

المصدر : http://www.wata.cc/forums/showthread . Musée Alphonse Etienne Dinet

المقاربة الأولى:الوصف الأولي

١ . الجانب التقني

اسم المرسل أو صاحب اللوحة هو إتيان دينيه "Alphonse-Etienne Dinet" الملقب بـ في الجزائر بناصر الدين دينيه. وهو فنان فرنسي ولد بباريس يوم ٢٨ مارس ١٨٦١، وهو أحسن مثل للفنان الفرنسي الذي تأثر بالحياة الجزائرية التي أحبها واندمج بها، أحب الجزائر وهام بها، وأحب شعبها وقاسمه أفراحه وأتراحه، استطاع أن يتغلغل داخل الروح الجزائرية، ويحس بمعاناة شعبها، ويعبر عن تلك المعاناة بكل صدق، و بفضل اتصالاته المعمقة بشعب هذا البلد المسلم تعرف إلى بساطته وصدقه الذي طبعته بها طبيعة الإسلام، فأحب هذا الدين الذي هو مصدر طبيعة هذا الشعب المتميز بسماحته وبساطته، فدخل في دين الله عن طواعية واقتناع حتى أنه أوصى أن يدفن في بقعة من الأرض الجزائرية مع شعبها المسلم الذي أحبه من أعماقه **(ابراهيم مردوخ، ٢٠٠٥، ص. ٦٥).**

والفنان دينيه ابن عائلة فرنسية بورجوازية، لقد كان أبوه محاميا لدى محكمة السين وكان جده مهندسا وابن وكيل الملك في قصر فونتين بلو.أما أمه لويز ماري أدل بوشيه**(Loise Marie Adel Boucher).** فقد كانت ابنة محام.وبعد حصوله على الشهادة الثانوية توجه إلى مدرسة الفنون الجميلة بباريس، ثم التحق بأكاديمية جوليان، وتتلمذ على يد الفنان بوجورو، وعلى يد روبير فلوري**(ابراهيم مردوخ، ٢٠٠٥، ص. ٦٥).**

واحتل هذا الفنان مرتبة خاصة جدا في تاريخ الرسم الاستشراقي.وقد أنهى بعجلة دراسته الأكاديمية، شأنه في ذلك شأن الفنانين الآخرين، ليشق طريقه سريعا.

عُرف "دينيه" بلوحاته التي سجل فيها التاريخ الجزائري كما اتسمت لوحاته بالأصالة نظرا لارتباطه وتعاطفه تجاه الشعب الجزائري ونظرا لموهبته التي أكسبته احترام الشعب.

ولقد ذهب "دينيه" في تأثره بهذا التراث إلى حد إشهار إسلامه سنة (١٩١٣) وسمى نفسه "ناصر الدين"، ومات عقب أدائه لفريضة الحج سنة (١٩٢٩) ودفن في مدينة بوسعادة الجزائرية بعد أن أقام عدة معارض فنية في الجزائر وباريس أبرز من خلالها عمق التراث الإسلامي وأبعاده الحضارية والإنسانية.

كان "دينيه" بلا منافس، ضمن المستشرقين الآخرين، التي غلبت العاطفة الشديدة على لوحاتهم، وذلك يرجع بلا شك إلى موهبته النادرة التي عرف بها.

وتأكيدا لاعتناقه لدين الله الحنيف أوصى بأن يدفن جثمانه بالمقبرة الإسلامية ببوسعادة، تلك المدينة التي عاش فيها أزهى أيام عمره، وأنجز فيها أجمل لوحاته الفنية.

- **تاريخ الإنتاج**:هذه اللوحة رسمت سنة (١٩٠٣) وهي موجودة في باريس للجمعية الوطنية للفنون الجميلة رقم ٣٤٩.صالون المستشرقين الفرنسيين.
- **نوع الحامل والتقنية** المستعملة: لوحة أصلية، و ألوان زيتية على قماش.
- **شكل إطار اللوحة وحجمها العام:**اللوحة جاءت في إطار مستطيل أما الأبعاد فقد جاءت ٤٩,٥ * ٤٠ سم .

٢.الجانب التشكيلي

- **عدد الألوان ودرجة انتشارها:** استعمل الفنان في لوحته هذه عدد كبير من الألوان الزاهية، الباردة والساخنة على حدّ سواء وبتدرجات مختلفة.فقد استخدم اللون الأحمر بكميات كبيرة، وكذا اللون البني بدرجة ثانية، واللون الفضي بدرجة ثالثة، ويليه اللون الأسود، ثم ركز في خلفية الصورة على توضيح اللون الأخضر والذهبي.
- **التمثيلات الأيقونية التي جاءت في اللوحة:**لقد استخدم الفنان الخطوط العمودية والمستقيمة والدائرية الموجودة في الحلي. واللوحة جاءت في إطار مستطيل.أما في قلب اللوحة فقد تعددت وتنوعت الأشكال والتمثيلات الأيقونية، إذ نرى أشكال آدمية نسوية.وفي الخلف بعض الأعمدة الخشبية .

٣.الموضوع

- **علاقة اللوحة/العنوان**

العنوان الذي اختاره الفنان هو "**فتيات ترقص وتغني**"، وهو عنوان معبر عن ما تبديه لنا اللوحة، من فتيات ترقصنا وتغنينا.

- **الوصف الأولي لعناصر اللوحة**

جاءت الصورة عامرة بالأشكال والألوان والتفاصيل إنها لوحة لا نعثر فيها على مكان شاغر.كما يظهر من العنوان، الصورة تمثيل لفتيات ترقصن وتغنين في واحة جميلة.

فالفتاة على الشمال، تظهر بكامل زينتها حيث تزينها الأساور، وقد ارتدت ثوبا بنيا قاتم اللون و ولحافا أحمر اللون، ومعصب أحمر وقد شبكته على احد الجانبي ببعض الحلي.

أما عن ملامحها، فهي ملامح فتاة بوسعادية، بشرة قمحية، وعيون واسعة مكحلة وحاجبين رفعين أسودين ثم أنف وفم دقيقين، وقد ارتسمت على صفحة وجهها ابتسامة خافتة..

وتقريبا الخطوط العريضة للملامح تتكرر مع الفتاة الثانية لمتبقيات من شعر فاحم السواد، وبشرة قمحية وقسمات دقيقة مع اختلاف في التفاصيل مما يعطي لكل واحد منهن تقاسيمها الخاصة.

وقد عمد الفنان على كسوتهن بأثواب زاهية الألوان متباينة التفاصيل، بل وأعطى لكل واحدة منهن حليا مختلفا متميزا.

هذا عن الحركة في اللوحة، وإذا جئنا لوصف الطبيعة الساكنة، نجد أننا في واحة من واحات بوسعادة.هذه مجمل عناصر اللوحة التي اشتركت فيها العناصر الجامدة والبشرية بصفة عامة.

المقاربة الثانية: دراسة بيئة اللوحة

الوعاء التقني والتشكيلي الذي وردت فيه اللوحة

إنّ دينيه اختار أن يكون رساما تشبيهيّا فهو عندما يعالج صورة أو منظرا طبيعيا أو موضوعا روائيا فان براعة فنه تظهر في الانسجام بين الألوان والضوء في جوها العام، وكل هذا جعل النقاد يشبهونه "بانجر" وكوربي" و"مانييه".

لقد عاش نصر الدين في عصر كان فيه الفنانون يقتسمون إلهامهم من القديم والأساطير بشكل مستمر.أما هو فنجده يتحول إلى العالم العربي لكي يجعله للآخرين مفهوما ومحبوبا.

وفنه في الدقة يكمن أيضا في البحث عن الاستعارة التي تعبر عن إحساس ملتزم في خدمة **مثل أعلى**.والحقيقة أن فنه قائم على دقة الملاحظة بالإضافة إلى الألفة الروحية التي تنعكس على أشخاصه لكي يوضح **نفسيتهم، وظروفهم الاجتماعية ووسطهم الثقافي.**

ولا يريد بأسلوبه هذا أن ينافس فن التصوير، بل يريد بطريقته الماهرة وإتقانه لمزج الألوان أن يعبر بلغة سهلة عن هذه الحقيقية المعقدة الممتنعة.

وعليه لم يكن فنه بعيدا عن الجمهور، فقد تصدى لمعاني الحياة الإنسانية، أما الإثارة الخفية في رسومه وسعيه لخلق الجو الملائم فإنها تقربه من **الانطباعية إلى حد ما**، ولكن أصالته تقوم أساسا على تصوير أشخاصه، ورسم طابع المصير على وجهوهم.

فأسلوب "دينيه" الفني يقترب كثيرا إلى **المدرسة الانطباعية**..الرَّسْم بالنُّور والتي تعود جذورها إلى فئة من الشبان الفنانون وقفوا أمام شواطئ البحر يتأملونه، فخطف أبصارهم الضوء المتلألئ على صفحة المياه المترقرقة، فصاح أحدهم: إنه بحر من نور استهوت الفكرة هذه المجموعة وأخذوا يكرِّسون أعمالهم الفنية للرسم بالنور، أي الاهتمام بالتعبير عن الضوء وانعكاساته في الطبيعة، متأثرين بأضواء البحر وبألوان قوس قزح الزاهية، ومن هنا سماهم البعض "التأثيريُّون.إلا أن أحد النقاد المتحيزين للمدرسة الواقعية التي كانت ما تزال هي المذهب السائد فنيًّا لم يعجبه الأسلوب الجديد لهؤلاء الشباب؛ فقال ساخرًا إنهم انطباعيون؛ يعني ينطلقون في أعمالهم من التأثير المباشر بالانطباع الأول الذي يأخذونه من ألوان الطبيعة، مثل: قوس قزح وأضواء النجوم وتلألؤ مياه البحر.

وأراد هؤلاء الشباب أن يثبتوا "علمية" مذهبهم الجديد في الفن، ويردوا بشكل عملي على النقاد من أنصار الواقعية التي كانت تُعلي من شأن موضوع اللوحة على ما عداه من ألوان وأضواء ... فقام الانطباعيون بوضع معالم محددة لمذهبهم الفني ارتكزت على فكرية تحليل الضوء لألوانه الأصلية (ألوان قوس قزح)، وبدلاً من خلط هذه الألوان معًا على سطح اللوحة راحوا يضعون كل لون منفصل بجوار الآخر في صورة لمسات صغيرة بالفرشاة، وأدى هذا إلى ظهور العنصر الثاني (غير زهو الألوان وعدم خلطها) المميز لأعمال الانطباعيين، وهو ظهور لمسات الفرشاة وآثارها على سطح اللوحة، فيما يعرف بالملمس الذي يصنع تضاريس بارزةً للوحة، وأصبحت اللوحة عند الانطباعيين في ذاتها مهمة، وكلٌّ متكامل كفكرة وألوان وأضواء، بدلاً من تركيز الواقعية على الفكرة فقط**(http://www.col-sea.com).**

ويحاول رسامو الانطباعية تقليد الضوء عندما ينعكس على أسطح الأشياء، ويحققون ذلك باستخدام الألوان الزيتية في بقع منفصلة صغيرة ذات شكل واضح، بدلاً من خلطه على لوحة الألوان، وفضَّل الانطباعيون العمل في الخلاء لتصوير الطبيعة مباشرة، وليس داخل جدران المرسم، وأحياناً كانوا يقومون برسم نفس المنظر مرات عديدة في ظروف جوية مختلفة، لإظهار كيف تتغير الألوان والصفات السطحية في الأوقات المختلفة.

ولقد أعتقد الانطباعيون أن الخط في الرسم من صنع الإنسان، إذا لا وجود للخط في الطبيعة، وألوان المنشور كما هو معروف هي : البنفسجي والنيلي، والأزرق والأخضر والأصفر والبرتقالي والأحمر وكانت ألوان الانطباعيين نظيفة نقية صافية، عنيت بتسجيل المشاهد بعين عابرة ولحظة إحساس الفنان في مكان وزمان واحد، إذ أن الفنان الانطباعي يقوم بتسجيل مشاهداته وانطباعاته في فترة معينة من الزمن، كما يلتقط المصور الفوتوغرافي صورة لشيء ما في لحظة معينة من النهار، لقد عني التأثيريون بتصوير الأشكال تحت ضوء الشمس مباشرة وخاصة لحظة شروق الشمس، فظهرت لوحاتهم متألقة بالألوان الجميلة**(http://www.col-sea.com)**.

- **علاقة اللوحة /الفنان**

جسد دينيه في لوحته هذه مفهوم الجمال كما يراه الشرقي، الجمال بتلك النظرة الرومانسية التي ترسمها الألوان الزاهية المتناغمة والخطوط المناسبة في رفق وأناة دون أن تصدم العين بتكسّرها، جمال المظهر الإنساني، الذي لا يتجسد إلا في كيان الفتاة البهية الحسناء الشابة التي نجدها هنا على هيئتين مختلفتين لفتيات يافعات جميلات، مستديرات الوجه مكحولات العين، سوداوات الشعر، وقد زادتهن حسنا فوق حسنهن الثياب التي يرتدينها والحلي التي يتحلين بها حلي فضية براقة وثياب زاهية الألوان، إنهن باختصار سحر الجمال البوسعادي الجزائري عندما يجتمع في هيأة فتاة، هذا الجمال الذي كان يغار عليه الرجال ويحجبونه عن أنظار الغرباء فيبقى سجين جدران المنازل، فبوسعادة حسب "دينيه" هي تستحق اسم بشير الخير عن حق.فإذا كانت الجنة

في السماء، فإنها بالتأكيد فوق هذه البلاد، وان كانت على الأرض فهي تحتها تماما.نساؤها فاتنات بكلامهنّ وجمالهنّ، آسرات وفي سن عمر الورود، يعرفن كيف يستزّينّ ويغنّين ويرقصن حتى يخطفن العقل، انه عالم شاعري تناوله دينيه" في كثير من أعماله.

- **المقاربة الثالثة:المقاربة السيميولوجية**

اللوحة تقترب من أسلوب الانطباعية كما وان تكلمنا سابقا، وبهذا الاختيار يؤكد "دينيه" على عشقه وسحره بالجمال الشرقي، وحتى الموضع في حد ذاته يشي بالمدلول نفسه، هو عشقه للعالم الشرقي العربي الإسلامي دون غيره، وذلك من خلال مكونات اللوحة جميعها دون استثناء، سواء الإيقونات أو الألوان المختارة، ملامح عربية محلية، أزياء جزائرية تقليدية، وحلي عتيقة.

فالحلية الجزائرية، منذ زمن، لقيت اهتمام الهواة والمختصين كما تشهد عليه المعارض المختلفة، الكتب والأدوات...المنجزة من حين لأخر.علاوة على الجاذبية التي تمارسها على الكل، فتظهر كأداة شاهدة مخصصة لإبراز قيمة الجسم، أداة حامية تحفظ من الأمراض والعين الشريرة، ضامنة للمستقبل.زيادة عن الفوائد التي تجلبها للحياة العائلية والاجتماعية للأشخاص، تصبح أداة شاهدة للثقافة والإيديولوجية لفئة اجتماعية أو عرقية معينة.

فقدرة الحلية في التعبير عن معنى ما تكمن في احتوائها للخبرة الفنية لمجموعة ما وخبرة الحياة والفكر:انشغالات، علاقات بين الأشخاص وبين الجماعات، العقائد، الخرافات .وتعتبر أشكال وزخرفة الحلية، عناصر مكونة ورموز.

مثلا: الثعبان الموجود في مختلف الحلي النسوية مثل الاشناف، الاساوير، حلقات الأرجل،...الخ تمس مبادئ الوجود والحياة وتذكر بالتجديد الدوري والدائم على المستوى الكوني (مبدأ التطور) أو على المستوى البشري (مبدأ الاتصال الجنسي).ورموز أخرى مثل اليد، السمكة، والمشط، الهلال...تعيدنا إلى الأسئلة الأساسية للوجود وللعالم الطبيعي وما وراء الطبيعة:

الحياة، الموت، الخصب، الحماية، الآلهة والكواكب.وعليه تعتبر الحلية أداة شاهدة للتقاليد التقنية.

كما حاول الفنان أن يوضح لنا الحليّ النسوية في بوسعادة، التي أقل ما نقول عنها إنها عتيقة وقديمة قدم المدينة ذاتها، وبالفعل فان الحلية على وجه الخصوص تميز واحة الحضنة.ويشهد على وجوده منذ القدم بحيث أنه تمّ العثور في الأضرحة القديمة الكائنة بضواحي بوسعادة على أساور ومشابك يرجع عهدها إلى القرون الأولى من العهد المسيحي.و إن مدلول الحلية التقليدية معقد، لأن الحلية تحمل في ذاتها صورا على الطبيعة البشرية وعن المرأة على وجه التحديد.ولكنها تجسد في نفس الوقت قرونا من حضارة رفضت الاستسلام إنها بمثابة ثقافة تعبر عن شخصية عرفت الصمود في وجه الالتماسات الغريبة، وجمعت الإبداع والذكاء و الذوق والأمل والسعادة والرّضوخ أيضا لتثبيتهم**(يوسف نسيب: دون سنة، ص. ٨٧).**

والمصور من خلال هذه اللوحة أراد أن يطلعنا على عالم الجمال، فالفتاة البوسعادية الجزائرية لا يعني أنها تعيسة في حياتها فهي ترتدي أبهى الملابس وأغلى الحلي وهذا ما يبدو في الصورة.

فالارتداء الجيد للملابس لإرضاء الخيال الشخصي لكل فرد يؤثر على الانطباع الذي يراه الآخرون، فاختيار الملابس هام، فهي تخبر الآخرين بشيء من التفصيل عن ذوقنا الذي يعتبر جزءا متكاملا من شخصيتنا.

وما نرتديه يصور أفكارنا الشخصية، فطراز الملابس يرسل برقية، هل هذا الفرد مرح أو جاد، واقعي أو خيالي، كئيب أو مسرور.كل هذه الانطباعات من وإلى الآخرين**(علية عابدين: ٢٠٠٠، ص. ٥٣).**

وإذا تعمقنا أكثر في استنطاق مدلولات الحيز الزمكاني للوحة، نجد أن هناك تأكيد على وجود الحياة وحب الحياة، فكل الدلالات الموظفة توحي بذلك.

- **دلالات الألوان:** جاءت دلالات الألوان الموجودة في اللوحة على مايلي: البني القاتم على قساوة الطبيعة والبيئة الصحراوية، في حين جاءت

دلالة اللون الأحمر إلى السعادة والرومانسية والحب، أما اللون الفضي فقد رمز إلى النقاء والنور والوضوح والأمل والبهجة وهو يرمز للزمن الايجابي وللأيام الحلوة، ويمثل في الوقت نفسه المواصفات الملائكية والجمالية والأصالة، في حين جاءت دلالات اللونان الأخضر واللون الذهبي في الواحة إلى أن اللون الأخضر لون سكان أهل الفردوس، ولون الخصب والنماء والفرح والبهجة والسرور. وهو لون السهل الخصيب وهو من الألوان الباردة، كما أنها ألوان الفضاء التي تعطي إحساسا باللانهاية.أما **اللون الذهبي** فقد استعمل لكونه لون بريق سحري من شأنه أن يخرج الإنسان من الواقع الأرضي ويرفعه إلى السماء أو الجنة وهي غاية الغايات في العقيدة الإسلامية، ويلاحظ أن اللون الذهبي ليس لونا بالمعنى الصحيح لأنه لون لا نجده إطلاقا في الطبيعة **(فوزي سالم عفيفي:دون سنة، ص. ٧١).**

وعلى العموم، فالفتيات ترتدين لباسا أنيقا منسجم الألوان، خفيفا يتلاءم مع الطقس الدافئ، كما يواكب مستواها الاجتماعي، ولعل المثير للإعجاب هنا، أن الفنان أراد من خلال لوحته هذه أن يطلعنا على لباس منطقة بوسعادة، وحتى الحلي نراها بأشكال مختلفة وهذا أيضا له دلالته، فمن خلال هذا التنوع يريد الفنان أن يعرفنا على الثراء والتنوع الكبير في الأزياء والحلي في منطقة ولاد نائل، وهذا بدوره له دلالة عميقة، فتنوع الأزياء ودقة صنعها والتفنن في تفصليها.

ويظهر ذكاء الفنان في استخدام العلامات من خلال التأكيد على الأنوثة وعالمها الرقيق في كامل تفاصيل اللوحة، كما استعمل الألوان الزاهية الجذابة التي تليق بالبيئة الشرقية الصحراوية من أحمر و بني وأصفر وأخضر ذهبي .

يمكن أن نجمل ما استخلصناه من دراستنا لصورة الفنان ناصر الدين دينيه حول " فتيات ترقص وتغني" في النقاط التالية:

- لقد أحكم الفنان الموضوع وذلك بتوظيف علامات مختلفة تتكامل مع بعضها البعض فالخطوط التي تقاطعت لترسم الأشكال والمساحات المملوءة بالألوان كلها اتحدت لتوحي لنا بنعومة عالم الأنثى.
- هذه اللوحة تعج بالحركة والحياة الرومانسية: الحركة نلمسها من خلال تركيز المصور على تعابير شخوص اللوحة، سواء تعابير الوجه أو الجسم، أما الحياة والرومانسية فقد أوحت بها الخطوط المنحية والمستديرة التي تعبر عن النعومة والديمومة، وكذلك الألوان الزاهية الفرحة والمتناغمة التي سيطر عليها اللون.
- لقد اعتنى الفنان كثير برسم ثياب الشخوص وتنوعها مستخدما مدلولاتها السيميولوجية التي تحدد الإطار الجيوتاريخي لموضوع اللوحة إضافة إلى المكانة الاجتماعية التي تحتلها الشخوص، كما أن مدلولات الثياب قد تكون أعمق من ذلك إذ أنها قد تشير أيضا إلى المجتمع وثقافته، وهذه نقطة مهمة استطعنا أن نستقرئها من اللوحة ومن تنوع أزيائها ودقة تفاصيلها.
- إن الرسالة الأساسية التي تحملها اللوحة تركز على البعد الاجتماعي و الثقافي، فالمصور من خلال هذه اللوحة أراد أن يعيد تركيب جانب من جوانب المجتمع الصحراوي الجزائري، أين تكون الفتاة بطلتها الأساسية، ففي اللوحة إشارة إلى قيم اجتماعية وثقافية معينة تخص المجتمع الجزائري في فترة معينة من الزمن كمجتمع عربي إسلامي.

الفصل الخامس

تصنيف العلامات

تمهيد

تقسم العلامات، في التصنيف التقليدي، إلى **إرادية ولاإرادية، إلى طبيعية وصناعية.** لكن التقسيم الأكاديمي الفرنسي يميز بين أربعة أنواع القرينة (Indice) والإشارة (Singnal) والدليل (Signe) والرمز (Symbole).وذلك على خلاف العالم الأمريكي "تشارلز بيرس Charles Pierce" (١٨٣٩/١٩١٤) الذي قسمها، في الثلاثينيات من القرن الماضي، إلي ثلاث مجموعات الإيقونات **(Icones) والمؤشرات (Indexes) والرموز(Symbols) .**

١.التصنيف التقليدي للعلامات

تقسم الدلائل، وفق التصنيف التقليدي إلى مايلي:

١,١ العلامات الإرادية ولا إرادية

١,١,١ **العلامات الإرادية:** هي التي تصدر عن الإنسان قصدا وعنوة. وهي نوعان**:**

(أ) **اتصالية بحتة،** وهي التي يراد منها نقل المعلومات فقط، مثل: إشارات المرور، وإشارات الرتب العسكرية، وأجراس الحريق والكوارث، وأبواق السيارات، وصفارات العسس وحكام الرياضة، وإشارات مقاييس الضغط والحرارة والسرعة، وفي مجال اللغة تتمثل في لغة العلوم والإرشادات والتوجيهات والأخبار والشهادات.

(ب) **اتصالية جمالية**: تستخدم لنقل الأفكار في أشكال جمالية، كالصور الفنية، والتماثيل، والتمثيل الصامت، والمقطوعات الموسيقية. وفي مجال اللغة يدخل فيها الشعر والقصة والمسرحية وغيرها من الفنون اللغوية الجمالية.

٢,١,١ **العلامات اللاإرادية:** وهي التي تصدر عن الإنسان بغير قصده، ولا يتحكم فيها. وهي أنواع منها**:**

(أ) صوتية:كالسُعال والبكاء والشخير، والعطاس.

(ب)حركية:كجريان الدم في العروق وحركة المعدة والقلب، وحركة كريات الدم وغيرها.

(ج) شكلية:كحمرة الخجل، وتجهم الوجه، وأسارير البشر على الوجه، وتغير لون الشعر لتقدم السن.

٢,١طبيعية /صناعية

٢,١,١ الدلائل الطبيعية: هي الإشارات التي تنتجها الطبيعية، وهي أنواع:

(أ) صوتية: هزيز الريح وهزيم الرعد وحفيف الشجر وخرير الماء وزقزقة العصافير ونقيق الضفادع ودوي النحل.

(ب)حركية: كحركة الأشجار الدالة عل اتجاه الرياح، وحركة الموج الدالة على حالة البحر، وحركة السحاب الدالة على اتجاه الأمطار، وحركة الظل والشمس الدالة على الوقت.

(ج) شكلية:كتشكيلات النجوم الدالة على الأنواء والوقت، وأشكال القمر الدالة على التقويم الزمني، وخضرة الأشجار الدالة على الفصول، وألوان الفاكهة الخضار الدالة على النضج.

(د) شمية: كرائحة الزهور والنبات وروائح الحيوانات والحشرات وروائح المخلفات والجيف وغيرها.

(هـ) ذوقية: كطعوم الموجودات الطبيعية، كطعم الفواكه مثل التفاح والبطيخ؛ وكطعم الحمضيات، مثل الليمون والبرتقال؛ وكطعم الملح الطبيعي والعسل غيره.

(و) حسية (لمسية) كمعرفة الفواكه، وجذوع الشجر، والصخور، والبذور وغير ذلك من الأشياء الطبيعية عن طريق لمسها في الظلام أو في حالة عدم القدرة على الرؤية.

٢,١,٢ العلامات الصناعية: هي التي من صنع الإنسان:

(أ) صوتية: مثل أصوات أجراس الحريق، أجراس الساعات، صفارات العسس والمرور، أبواق السيارات والقطارات.

(ب) حركية: مثل حركة عقارب الساعة، وحركات مؤشرات المقاييس والأوزان، وحركة مقياس سرعة الرياح.

(ج) شكلية:كالألوان الضوئية التي تصدرها الأجهزة والتي تدل على عملها أو حالاتها، وسرعاتها.

(د) شمية: كروائح العطور، والمبيدات والسموم، والأدخنة الصناعية والغازات.

(هـ) ذوقية: كطعوم الطعام المطهي والحلوى البوظة، المرطبات الغازية.

(و) لمسية: كمعرفة الأشياء المصنوعة كالأدوات من أقلام ومقصات ومفاتيح وقوارير وغيرها عن طريق اللمس.

٢.تصنيف العلامات حسب المدرسة الفرنسية

إن هدف السيميولوجيا الأول هو اكتشاف المدلولات واختراعها. ونحن نرى أنه لا يمكننا إرسال دال بدون أن يكون بواسطة المدلول.

وحسب التصنيف الأكاديمي الذي أقامه "بايلون كريستيان وبول فابر" يمكن دراسة أنواع الدلائل في شكل ثنائيتين رئيسيتين **القرينة والإشارة** من جهة، و**الدليل والرمز** من جهة أخرى.

٢,١ القرينة والإشارة

٢,١,١ القرينة

تعد النية في التبليغ العامل الأساسي في التمييز بين ما هو قرينة وبين ما هو غير قرينة أي الإشارة، فبخلاف الإشارة (الاتصالية)، فإن القرينة هي كل دليل لا يتضمن أي نية في التبليغ **(محمود ابراقن: دون سنة، ص.٢٩).**

- **القرينة**

تتجسد القرينة في أربعة مجالات متميزة: اللغة، البلاغة، القانون، والسيميولوجيا.

- **في اللغة العربية**

يراد بقرينة الكلام ما يصاحب الكلام ويدل على المراد به، وهي التي لا تحدد وظيفة اللفظة وإنما هي مجرد أداة تساهم في إعطاء لفظة من لفظات الجملة مدلولا إضافيا (**محمود إبراقن: دون سنة، ص ص.٢٩-٣٠**)، مثال: أدوات التعريف (الـ: في الطفل) التسويف (س. سوف في سيذهب سوف يذهب) والنفي (لا، في، لا يذهب).

- **في البلاغة العربية (المجاز اللغوي)**

القرينة هي حالة استعارة. هي المانعة من إرادة المعنى الحقيقي والتي تساهم في الدلالة على المعنى المجازي، وقد تكون القرينة لفظية أو حالية (**قدور عبد الله ثاني:٢٠٠٤، ص.٩٢**).

تتجسد القرينة اللفظية، في المثال الآتي:

المثال الأول:

وأَقبلَ يمشي في البساط فَما دَرى ** إلى البحر يَسْعَى أم إلى البدر يَرتقي**

أ- شبه سيف الدولة بالبحر بجامع العطاء، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو البحر للمشبه وهو سيف الدولة، على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة: "فأقبل يمشي في البساط".

ب- شبه سيف الدولة بالبدر بجامع الرفعة، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه وهو البدر للمشبه وهو سيف الدولة، على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة "وأقبل يمشي في البساط".

وهكذا نلاحظ أن في كل استعارة ثلاثة عناصر هي:

المستعار منه وهو المشبه به، والمستعار له وهو المشبه، والمستعار وهو اللفظ الذي يؤخذ من المشبه به إلى المشبه.

وتكون القرينة حالية، في الشطر الأول من هذا البيت للبحتري:

هزبر مشى يبغي هزبرا وأغلب ***** من **القوم يغشى باسل الوجه أغلبا**

تتمثل القرينة الحالية، هنا، في الحال المفهومة من سياق الكلام التي تدل على أن المقصود من كلمة " هزبر" الأولى ليس المعنى الحقيقي (الأسد الحقيقي الذي تدل على كلمة "هزبرا" (الثانية) ولكن المعنى المجازي (أي الممدوح الشجاع).

- **في القانون**

القرينة القضائية هي الدلائل غير المباشرة التي يستخلص بواسطتها القاضي الحقيقة القانونية.

- **في السيميولوجيا**

حسب لويس بيرتو هي: "واقعة يمكن إدراكها فورا وتعرفنا على شيء يتعلق بواقعة أخرى غير مذكورة " **(قدور عبد الله ثاني:٢٠٠٤، ص.٩٢).**

نستنتج من هذا التعريف أن القرينة لا تحمل أي نية في التبليغ.

مثال: السماء الغائمة أو السماء العاصفة اللتان تدلان على احتمال سقوط المطر. وبالتالي يتسم هذا النمط من العلامات بأنه يتوافر على خصيصة التعليل بالمجاورة، وهي نتاج التقطيعات المماثلة نظرا لأن هناك خلاصة لوجود علاقة ربط حيوية بين القرينة وموضوعها من جانب ومن جانب آخر لها علاقة بمداخل الحواس، إنها ضرب من العلامات التي تطرح نفسها على أنها وقائع مرئية تقدم وقائع أخرى غير مرئية تقديما مباشرا، ولهذا فإنها توجه انتباه المرء إلى موضوعها طوعا أو كرها عن طريق استنفار قواه الحسية "**(أحمد يوسف: ٢٠٠٥، ص. ٩٠).**

٢,١,١الإشــارة

يمكن تقسيم الإشارات إلى نوعين رئيسين: إشارات الدلالة وإشارات الاتصال:

- **إشارات الدلالة**

هي الإشارات التي على الرغم من أنها تحمل رسالة وتدل على شيء إلا أن وظيفتها الأساسية لا تكمن في ذلك، بل في الدور الذي أنشئت من أجله **(محمود إبراقن: دون سنة، ص.٣٢).**

لنأخذ مثالا من الهندسة المعمارية: إن المسجد قد بني بالدرجة الأولى من أجل إقامة الصلاة. إلا أنه غالبا ما تتجسد، في هندسته المعمارية، البصمات الفنية أو الثقافة أو الحضارية للشخص الذي أشرف على بنائه.

- **إشارات الاتصال**

هي الإشارات التي وضعت أساسا من أجل حمل رسالة أو نقل خبر: كإشارات المرور والدلائل اللغوية **(محمود ابراقن: دون سنة، ص.٣٣).**

على خلاف القرينة، تتضمن الإشارة الاتصالية النية في التبليغ: إن السماء العاصفة ليس في نيتها الإعلان عن رداءة الطقس ولكن بفضل هذه القرينة يشرع مسؤول الحماية المدنية، على مستوى الشاطئ، بمباشرة تعليق العلم الأحمر.

إن هذا العلم هو إشارة اتصالية وضعت بغرض إعطاء تحذير للمصطافين، نلاحظ بأن هذا العلم هو دليل غير لساني، ومن ثم فهو يندرج ضمن السيميولوجيا.

٢,٢ الرمز والدليل

تكون الإشارة الاتصالية التي نخصها بتسمية الدليل (بخلاف الإشارة الدلالية) إما رمزا أو دليلا (سيميولوجيا أو لغويا) "**(قدور عبد الله ثاني:٢٠٠٤، ص.٩٣)**.

٢,٢,١ الرمز

فرق دو سوسير بين العلامة والرمز على عكس كثير من السيميولوجيين، حيث نسب إلى العلامة الصفة الاعتباطية وإلى الرمز الصفة التعليلية" **(أحمد يوسف:٢٠٠٥، ص. ٩٧)**، وبالتالي فالرمز إشارة اتصالية تقوم على ركائز طبيعية، مثل الدخان الذي يعني وجود النار.



ممنوع مرور الشاحنات



ممنوع تخطي الشاحنات



ممنوع تخطى الدراجات

٢,٢,٢ الدليـــل

بخلاف الرمز فهو لا يتمتع بأي علاقة طبيعية مثل: استحمام خطير عند رؤية العلم الأحمر في الشاطئ، حيث نقول عن هذه الإشارة دليل سيميولوجي. أمثلة أخرى للدليل السيميولوجي: لافتة الريح الجانبية، اللافتة التي تدل على وجود أشغال.

٣. التصنيف الأمريكي للعلامات

كل علامة عند "بيرس Peirce" هي ثلاثية العلاقة ولها ممثل، موضوع، مؤول. ونظريا يوجد ٣ [٣] أي ٢٧ قسما من العلامات الممكنة التي يختصرها مبدأ تراتبية المقولات في عشر، أي **(جيرار دولودال:٢٠٠٤، ص. ١١٧):**

١. قسم العلامات الوصفية مثل الشعور بالاحمرار.
٢. قسم العلامات الفردية الأيقونة رسم بياني معطى.
٣. قسم العلامات الفردية القرنية مثل صراخ تلقائي.
٤. قسم العلامات الفردية الإخبارية مثل دوارة الهواء.
٥. قسم العلامات العرفية الأيقونية رسم بياني عام.
٦. قسم العلامات العرفية القرنية: اسم إشارة.
٧. قسم العلامات العرفية القرنية الإخبارية مثل صراخ في الزقاق.
٨. قسم الرموز مثل اسم عام مشترك.
٩. قسم الرموز الإخبارية تحليل قياسي، علاقة تضامنية.
١٠. قسم البراهين.

ورغم ذلك، ميز لنا "بيرس Peirce" مؤسس السيميوطيقا الحديثة سنة (١٨٧٨)، بين ثلاثة أنواع من الدلائل، هي الأيقونة، والمؤشر، والرمز.

١,٣ الأيقونة Icone

إن هذا النمط من العلامات يكون فضاء أرحب للسيميوطيقات بعامة والسيميوطيقات البصرية التي عبرت عنها الثقافات القديمة، وأخذت صبغة دينية حينما صارت الأيقونة تشير إلى طلاء ديني خالص للكنيسة الأرثوذكسية في الشرق. لقد اهتم بها علماء الأنثروبولوجيا الثقافية ووقف عليها الفينومينولولوجيون وعلماء الآثار، ولكن الحضارة المعاصرة والمجتمعات الحديثة وجدت فيها ضالتها، بل أصبحت لغتها الحية التي تتجاوز في بعض الأحايين معوقات اللسان في تحقيق تواصل أوسع بين البشر.

فتكاد تكون الأيقونة الموضوع الذي له حظوة ربما أكثر من غيره من العلامات الأخرى في السيميولوجيا المعاصرة علما بأن الموضوعات التي تربط بينهما علاقة المشابهة التي لا يمكن أن نفهمها على النحو الذي تشير إليه كما هو الحال في الخرائط " **(أحمد يوسف، :٢٠٠٥، ص. ٩٣).**

إن الأيقونات ضرب من العلامات التي تتفرد بخصيصة التعليل التي تستند إلى عامل المشابهة الناتجة عن نظام التقطيع غير المتماثل. ومن الأمثلة التي تساق في مجال الأيقونات: الصور الفوتوغرافية والمخططات المعمارية والخرائط الجغرافية والضجيج الاصطناعي في السينما والمسرح والرسوم البيانية والاستعارات.

فالصورة تعد الشكل الأيقوني بمعناه المحدد مستقلا عن بعده المادي، بينما تسعى الرسوم البيانية إلى تمثيل العلاقات القائمة بين الأشياء عن طريق العلامات التي تظهر العلاقات نفسها. وعلى ذلك، فالأيقونات علامات يتحقق وجودها بالفعل، وتنشأ بينها وبين موضوعها علاقة مشابهة حسية. وهنا يكون بيرس قد تحرر في تصوره الأيقوني من فلسفة التعالي الكانطية، وخرج عن التجريد المنطقي للعلامة **(أحمد يوسف، :٢٠٠٥، ص. ٩٣).**

وبهذا ترتكز الدلائل التشابهية أو الأيقونية على مبدأ التشابه بين الدال والمدلول سواء كان تشابها سمعيا مثل الضجيج أو الضوضاء أم تشابها بصريا مثل الرسم أو الصورة الفوتوغرافية. وتسمى في السيميوطيقا، هذه الدرجة في التشابه بين الدال والمدلول، بدرجة الأيقونة. وهي الدرجة التي تسمح لنا بالتعرف، من خلال صورة أو كاريكاتير مثلا، على علاقة معينة يشترك في إدراكها فرد أو عدة أفراد من الجماعة نفسها.

وفي منظور "بيرس Peirce"، تقوم الأيقونة –المتمثلة في الصورة الفوتوغرافية والرسم البياني والاستعارة على علاقة التشابه: "إن الأيقونة علاقة تحيل إلى الشيء الذي تدل عليه بفضل سمات خاصة تمتلكها...، فقد يكون أي شيء أيقونة لشيء آخر، سواء كان الشيء صفة أم كائنا أم قانونا، بمجرد أن يشبه هذا الشيء ويستخدم دليلا له".

مثال: يعد جسد الممثل وصوته بالنسبة للشخصية التي تقمصها أيقونة، ولكن عندما يكون الممثل الفريد من نوعه لا يمثل إلا نفسه (أي لا يمثل شخصية معينة) تكون هنا بصدد التطابق الأيقوني.

وتكون الاستعارة البلاغية تشبيها أيقونيا، في المثال الذي ضربه "بيرس Pierce" "الفتاة التي لا ترقص في الحفلات هي زهرة حائط حقيقة". تمثل وجه الشبه بين المشبه (الدال أي الفتاة التي لا ترقص في الحفلات) والمشبه به (المدلول: أي زهرة حائط) في السمة الدلالية الآتية: الالتصاق بالحائط).

وهكذا، نجد بأن الأيقونات التي أتى بها تقترب، في جانبها الظاهر، من الأيقونات التي صنفها عالم السيميولوجيا الإيطالي "امبريطو إيكو"، وهي الأيقونات التي تضمن عناصر متناسقة وواضحة المعالم، بغرض خلق وحدات يمكن التعرف عليها بسرعة مثال: الأيقونات الخاصة بمريم العذراء وميلاد المسيح.

يتضح مما سبق، أن العلامات الأيقونية: هي الإشارات التي تحاكي ما تشير إليه، وأنواعها هي **(http://www.lissaniat.net):**

- **عالية الأيقونية:** كالصور التليفزيونية الحية، والصور الفوتوغرافية، وبعض اللوحات الفنية، والنماذج ومجسمات المباني والمشاريع.
- **منخفضة الأيقونية:** هي التي تكون المحاكاة فيها ضعيفة كبعض الرقصات الشعبية واللوحات الفنية كالسريالية والتكعيبية والأحلام، وبعض مفردات اللغة التي تحاكي معانيها، مثل أسماء الحيوانات المشتقة من أصواتها: هدهد، بوم، غاق، وبعض الأفعال، نحو: شهق، صرخ، لهث، خبط، ضرب، حكّ، طنّ، حنّ، رنّ.

أمثلة أخرى: وبعض الشعائر الدينية كرمي الجمرات، والسعي. فالشعائر إيصال تقوم به المجموعات.والرسالة الشعائرية ترسلها الأمة وتكون باسمها.فالباعث هو الجماعة وليس الفرد.وإن الأمة تصل نفسها بالله حين تقوم بالشعائر الدينية.وتعني كلمة (Roligio) اشتقاقيا "رباطا" وهو رباط بين المؤمنين الذين يتقاسمون إيمانا واحدا، وبين المؤمنين والإله في الوقت نفسه.

والشعائر العائلية أو القومية هي أيضا عبارة عن شكل من أشكال الصلة مع الوطن، وهي دائم على وجه التقريب، من أصل ديني، وتبقى ملونة بالنزعة الدينية **(بييرجيرو: ١٩٨٨، ص١٥٤)**.وتقوم وظيفة الشعائر على صلة أكثر مما تقوم على الأخبار.وهدفها أن تدل على تضامن الأفراد إزاء الواجبات الدينية، والقومية، والاجتماعية، التي أبرمت الأمة عقدها عليها.وهي، بالإضافة إلى ذلك، انساق اشارية.فمهما كان أصلها التاريخي الوهمي، ومهما كانت قيمتها التصويرية، تبقى دائما على درجة عليا من الاصطلاح **(بييرجيرو: ١٩٨٨ ، ص ص١٥٤-١٥٥)**.

و الألعاب كمثل الفنون، جميعها يحاكي الواقع، وعلى وجه الخصوص الواقع الاجتماعي.إنها مواقف مبنية لكي تضع الأفراد ضمن مخطط يحمل دلالة الحياة الاجتماعية".والفنون تحاكي بغية إعادة وضع المتلقي أمام الواقع.وهي تجعله يعاني الانفعالات بوساطة الصورة، والمشاعر المثارة بوساطة هذا الواقع.

فالعروض عبارة عن ألعاب وفنون في الوقت ذاته: إنها ألعاب من وجهة نظر الممثلين، وفنون من وجهة نظر المشاهدين.وتتناسب الألعاب مع

ثلاث أكبر درجات التجربة : الثقافية والعلمية، والعملية والاجتماعية، والعاطفية والجمالية. **(بييرجيرو: ١٩٨٨ ، ص١٥٦).**

وتتجلى وظيفة الألعاب في التعلم والاختيار: فالطفل الذي يلعب لعبة الأم أو لعبة الجندي، إنما يتعلم مهنته.والمسابقات تسمح بمعرفة الأقوى والأجدر بممارسة القيادة **(بييرجيرو: ١٩٨٨، ص١٥٧).**

فمعظم العلامات الاجتماعية إذن تعد نموذجا معللا إما مجازا، وإما كناية.وهي بمثابة صور تشبيهية كالميزان، وسيف العدالة ، وانحناء الرأس أو تقبيل اليد، وهذا يذكر "بالاحترام" إلى أخره.ولكن العلامات تحيا في معظم الأحيان فوق الشكل الاجتماعي وفوق المؤسسات لكي لا تحتفظ إلا بقيمة رمزية **(بييرجيرو: ١٩٨٨، ص،١٥٠).**

فالعلامات الاجتماعية بطبيعتها الأيقونية تنتمي إلى العلامات الجمالية.وهذا ليس محض مصادفة، لأن الباعث في الإيصال الاجتماعي يحمل إشارة في معظم الأحيان، وهو المرجع في الوقت ذاته. ولا يمكن لهذا بين الذات والموضوع إلا أن يشجع عدوى الوظيفة المرجعية والوظيفة الانفعالية **بييرجيرو: ١٩٨٨، ص١٥١).**

٢,٣ المؤشـــر Indexe

كثيرا ما تتداخل المؤشرات مع القرائن على الرغم من أن المؤشرات علامات اعتباطية وأن القرائن تكون تعليلية إن هي اندمجت في إطار العلامات الطبيعية، حيث هناك علاقة سببية بين الدال والمدلول، ولكن سبب هذا التداخل إلى أنهما يبدوان مترادفين، حيث ينضاف إلى ذلك البعد "التلاصقي" الذي يتباين بين المؤشرات والقرائن " (**أحمد يوسف، ٢٠٠٥: ص ص ١١١-١١٢**).

وهي العلامة التي تدل على الشيء الذي يشير إليه بفضل وقوع هذا عليها في الواقع مثل الأعراض الطبية التي تشير إلى وجود علة عند المريض.

فهي العلامة التي تشير إلى مدلول لعلاقة تلازمية، مثل الدخان في دلالته على وجود النار، وآثار الأرانب في دلالته على وجود هذه الحيوانات، وآثار المجرم في دلالتها على تورطه في جريمته، الحبوب التي تظهر على الجسم عند المصاب بالحصبة أو الجدري.

وتنقسم المؤشرات إلى قسمين، القسم الأول منها ينتمي إلى فصيلة الموجودات الطبيعية، غير أنه قد يكتسب دلالة إضافية عرفية في حالة ما إذا كان يحمل رسالة تتجاوز العلاقة العلمية التي تربط بين وجوده وبين موضوعه، أما القسم الثاني فينتمي إلى فصيلة العلامات العرفية، أو بالأحرى العلامات اللغوية تنتقل من النظام اللغوي إلى النظام الإيمائي (**http://www.lissaniat.net**)، وهو الذي يمكن أن يتناسب مع الدلائل الطبيعية والقرينة الفرنسية، ويتجسد المؤشر في كل دليل يستخدم بطريقة إرادية ليوحي بشيء(الإشارة الإيمائية) أو ليشير إليه (الإشارة اللفظية).

يمكن أن ندرج في إطار الإشارة الإيمائية كل الدلائل الطبيعية التي يكون فيها ارتباط الدال بالمدلول سببا (كالدخان، بالنسبة للنار). أما الإشارة اللفظية فهي التي تتلخص وظيفتها في توجيه المخاطب إلى ما يجب الالتفات إليه ويركز عليه اهتمامه.

٣،٣ الرمـــز Symbole

يشير الرمز عند "بيرس" إلى: المعادل الحقيقي للعلامة عند "دي سوسير" إذ يرى أن علاقة الرمز بمدلوله هي علاقة اعتباطية عرفية فقط. فالعلامة التي تحيل إلى الشيء الذي تشير إليه بفضل قانون غالبا ما يعتمد على التداعي بين أفكار عامة ويطلق عليها "بيرس Peirce" اسم العادات والقوانين وهي عنده أكثر العلامات تجريدا وما يلاحظ في هذا المستوى أن العلاقة بين الدال المدلول أو المشار إليه هي علاقة عرضية وغير معللة، مثل البياض والسواد ودلالته على الحزن أو الفرح، وهذا من الرموز التي تدرسها الأنثروبولوجيا.

فالعلامة الرمزية هي التي تفيد مدلولها بناء على اصطلاح بين جماعة من الناس ومثال ذلك الحمامة البيضاء التي تحمل غصن الزيتون ترمز للسلام.

وإشارات المرور الضوئية، وعلامة صح √ وعلامة خطأ X وعلامات الموسيقى ومفردات اللغة مثل: شجرة، حصان، كتاب، وأصوات الأبواق والأجراس.

ويمكن عد العرض المسرحي، حسب هذا المنظور، عرضا رمزيا في جملته لأن "العرف وحده هو الذي يجعل الجمهور يتقبل ما يقع على المسرح على أنه يمثل شيئا آخر" **(كير إيلام: ١٩٨٧، ص.٩٤).**

ولذا نجد أن "بيرس Peirce" انصب اهتمامه كله على ثلاثية الأيقونة، الإشارة، الرمز، ولعلنا لا نستغرب السبب؛ إذ ان هذه العلامات الثلاث وقعت تحت معالجة بنيوية محضة، ولذا ارتبطت بالطرح البنيوي مباشرة. فالعلاقة بين الدال المدلول تحت مفهوم العلامة الأيقونة هي علاقة مشابهة، إذ الدال يشبه المدلول ويستطيع المحلل أن يدرك العلاقة مباشرة.

والعلاقة مع الإشارة علاقة سبب ونتيجة، وهي علاقة واقعية فعلية (كما في علاقة الدخان بالنار) وبقي الرمز علامة عشوائية عرفية كماهي حال الدال عند "دي سوسير".

هذه بصفة موجزة، أصناف العلامات في النظام التقليدي، وكما جاءت بهما كل من المدرستين الفرنسية والأمريكية، وهي من الصعب أن نحددها بطريقة مطلقة، كما وضح ذلك "بيرس" نفسه، إذ لا وجود لأيقونات أو مؤشرات أو رموز خالصة. هذا ما نجده في الأمثلة التالية:

العلامات/تصنيفاتها	حسب المدرسة الفرنسية	حسب المدرسة الأمريكية
١.أثر السجود	قرينة لأنها لا تحمل	مؤشر يدل على كثرة

	أي نية في التبليغ.	السجود.
٢.سماع الأذان	إشارة اتصالية لأنها تحمل نية في التبليغ.	مؤشر يدل على وقت الصلاة.
٣.الأواني الفخارية	إشارة دلالية تدل على ثقافة المجتمع.	رمز لأنها تدل على رموز ثقافة البلد.
٤. خيوط شبكة العنكبوت	قرينة لأنها لا تحمل أي نية في التبليغ.	مؤشر هذه الخيوط تدل على وجود عنكبوت.
٥.قاعة استقبال الضيوف بالجزائر	إشارة دلالية تدل على ثقافة المجتمع الجزائري	رمز لأنها تدل على رموز ثقافة المجتمع الجزائري.
٦.شكل التحية	دليل لأنها لا ترتكز على دلائل طبيعية فهي من وضع المجتمع السعودي.	رمز لأنها من عرف وتقاليد المجتمع السعودي.
٧.صورة إشهارية	رمز لأنه يرتكز على دلائل طبيعية.	أيقونة عالية لأن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة تشابه تام.

٨. اللباس التقليدي	إشارة دلالية يدل على ثقافة وحضارة المجتمع الجزائري).	رمز يدل على ثقافة وحضارة المجتمع الجزائري) .
	دليل لأنها لا ترتكز على دلائل طبيعية.	رمز لأنها من عرف وتقاليد المجتمع
١٠.صو[illegible]ئيس الفرنسي إمانويل ماكرون	رمز لأنه يرتكز على دلائل طبيعية.	أيقونة عالية لأن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة تشابه.

خاتمة

وهكذا، تُشكّل الأنثروبولوجيا مع السيميولوجيا منظومة من المعارف والموضوعات التي تدور حول كائن موضوع الدراسة، وهو حياة الإنسان. ويأتي هذا التشابك (التكامل) بين هذين العلمين بالنظر إلى تلك الأطر المعرفية والمناهج التحليلية، التي تنظّم العلاقة المتبادلة والمتكاملة بينهما.

وإذا كان الأنگوسكسونيون يعتبرون السيميوطيقا إنتاجا أمريكيا مع "بيرس (Pierce)" في كتابه" كتابات حول العلامة"، فإن الأوربيين يعتبرونها إنتاجا فرنسيا مع" فرديناند دو سوسير" في كتابه " محاضرات في علم اللسانيات" سنة (١٩١٦)م. وإذا كانت السيميولوجيا الأمريكية مبنية على المنطق وفلسفة الأشكال الرمزية (الأنطولوجية الوجودية والرياضيات)، فإن السيميولوجيا الفرنسية مبنية على الدرس اللغوي واللسانيات.

بينما تكمن أولى استنتجاتنا في مايلي:

- أن إنطلاقة ""بيرس (Ch. Pierce)" المنهجية كانت ذات منطلق فلسفي منطقي رياضي ظاهيراتي. أما "سوسير (F. de Saussure)" فكانت لغوية لسانية.
- العلامة عند "بيرس" ثلاثية المبنى تتكون من **الماثول** و**المؤول** و**الموضوع** وهي مبنية على قاعدة رياضية تقول: إنَ كل نظام لابد أن يكون ثلاثياً. في حين أنَ العلامة عند "سوسير" ثنائية المبنى تتكون من **دال** و**مدلول**، أي : تجمع بين الصورة الصوتية والصورة الذهنية ولا تجمع بين الشيء ومسماه .
- فلقد أكدَ "بيرس"على أهمية العلامة في علاقتها بعوالم ثلاثة : (عالم الممكنات أو الأحاسيس ـ المقولة الأولانية، وعالم الموجودات أو الوقائع(الوضوعات) ـ المقولة الثانيانية، وعالم الواجبات (القوانين) ـ المقولة الثالثانية)، وقد استمد "بيرس" هذه المقولات من مقولات الظاهراتيـة: فلسفة الكائن، ومقولة الوجود، ومحاولة الفكر لتفسير

الظواهر. في حين أكدَ "سوسير" بشكل كبير على أهمية العلامة داخل نظامها في النص، دون الارتباط بعالم المرجعية خارج النص، ودرس اللغة من خلال وصفها نظاماً أجزاؤه مرتبطة فيما بينها (تجليات المنهج االبنيوي).

- فالعلامة عند "بيرس" هي لغوية وغير لغوية. أما العلامة عند "سوسير" لغوية - حصراً - وتمتاز بكونها اعتباطية(غياب المنطق العقلي) في علاقة دالها بمدلولها .
- وتتحدد العلامة عند "بيرس" بعلاقة الماثول و الموضوع اللذين يتوسطهما المؤول. وتتحدد العلامة عند "سوسير بعلاقة الدال والمدلول.
- فالعلامة عند "بيرس" هي أساس السيميوطيقا (Sémiotique)، وتعد جزءاً من علم المنطق.

أما "سوسير" فالعلامة هي أساس السيميولوجيا (Sémiologie)، وتعدّ جزءاً من علم النفس .

- تشكل المقولات الفلسفية عن الوجود والعالم صورة التحليل السيميوطيقي عند "بيرس". وتشكل اللسانيات جزءاً من السيميولوجيا عند "سوسير" لأن اللغة فعل سيميولوجي.
- إن الموضوع الرئيس للسيميوطقا عند "بيرس" هو السيرورة المؤدية إلى إنتاج الدلالة، أي ما يطلق عليه في الاصطلاح السيميولوجي السميوز (Sémiosis). والسميوز في التصور الدلالي الغربي هي "الفعل" المؤدي إلى إنتاج الدلالات وتداولها. أما موضوع السيميولوجيا عند "دي سوسير" هي **العلامة** اللسانية بالدرجة الأولى.

بالرغم من أن " تشارلز ساندرس بيرس (Charles S. Peirce)" لم يلتقِ، أو لم يقرأ عن "دي سوسير (Ferdinand de Saussure)"والعكس صحيح أيضاً، إلاَ أنَ معطياتهما تكاد تكون متقاربة ومنسجمة في بعض

المواضع، فكلاهما أسس لعلم نقدي لغوي شامل، وهو علم العلامات، وكلاهما انطلق من تأسيس ذلك من خلال الحديث عن معطيات العلامة وتصنيفاتها ومداخلها، وميادين تنظيرها وتطبيقها، وكلاهما أسهم في إنعاش الحركة المعرفية، وعُدت معطياتهما طرائق يُهتدى بها في السلوك التحليلي للرسائل اللغوية والرسائل البصرية.

قائمة المصادر والمراجع

أولا :الكتب المقدسة

١. القرآن الكريم: **برواية حفص عن عاصم**، الطبعة الثالثة، بيروت، دار ابن كثير، 1984.

ثانيا: الكتب العربية

١. إبراقن محمود: **المدخل إلى سيميولوجيا الاتصال**، قاموس اللسانيات سيميولوجيا الاتصال، الجزائر، **دون سنة.**

٢. إبراهيم الدسوقي عبده: **التلفزيون و التنمية**، الإسكندرية، دار الوفاء، 2004.

٣. ابن خلدون عبد الرحمان: **مقدمة ابن خلدون**، ضبط خليل شحادة، ج ١، بيروت، دار الفكر، ٢٠٠١.

٤. أحمد أبو زيد: **الطريق إلى المعرفة**، كتاب العربي ٤٦، الكويت، منشورات مجلة العربي، ٢٠٠١.

٥. أحمد أبو هلال: **مقدمة في الانثروبولوجيا التربوية**، عمان، المطابع التعاونية، ١٩٧٤.

٦. آريفيه ميشال وآخرون: **السميائية أصولها وقواعدها**، ترجمة بن مالك رشيد ، الجزائر، منشورات الاختلاف، ١٩٩٠.

٧. أينو آن: **تاريخ السيميائية**، ترجمة رشيد بن مالك، مراجعة عبد القادر بوزيدة، عبد الحميد بورايو، الجزائر، منشورات مخبر الترجمة والمصطلح، ودار الوفاق، ٢٠٠٤.

٨. بارت رولان: **المغامرة السيميولوجية، ترجمة: عبد الرحيم حزل،** المغرب، دار تينمل للطباعة والنشر،مراكش، ١٩٩٣.

٩. بارت رولان: **قراءة جديدة للبلاغة القديمة** ترجمة: عمر أوكان، بيروت لبنان، إفريقيا الشرق، ١٩٩٤.

١٠. بريغز آسا، بيتربورك: **التاريخ الاجتماعي للوسائط** (من غتنبرغ إلى الإنترنت)، ترجمة مصطفى محمد قاسم، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٥.

١١. بلمليح إدريس: **الرؤية البيانية عند الجاحظ**، المغرب، الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٩٨٤.

١٢. بن عيسى حنفي: **محاضرات في علم النفس اللغوي**، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٠.

١٣. بناني محمد الصغير: **البلاغة والعمران عند ابن خلدون**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٦.

١٤. بنكراد سعيد: **السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها**، المغرب، الدار البيضاء، ٢٠٠٣.

١٥. بنكراد سعيد: **سيميائيات الصورة الإشهارية (الإشهار والتمثلات الثقافية)**، الدار البيضاء، المغرب، إفريقيا الشرق، ٢٠٠٦.

١٦. بورايو عبد الحميد: **مدخل إلى السيميولوجيا** (نص ـ صورة)، جامعة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٥.

١٧. بوقرة نعمان: **محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة**، عنابة، منشورات جامعة باجي مختار، ٢٠٠٦.

١٨. تاوريريت بشير: **محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر**، الجزائر، قسنطينة، دار الفجر للطباعة والنشر، ٢٠٠٦.

١٩. توسان برنار: **ما هي السيميولوجيا**، ترجمة محمد نظيف، الطبعة الثانية، المغرب، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، إفريقيا الشرق، ٢٠٠٠.

٢٠. الجاحظ عثمان: **البيان والتبيين، ج ٣**، بيروت، دار الكتب العلمية .

٢١. الجرجاني عبد القاهر: **دلائل الإعجاز، تحقيق**، محمد التنجي، ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٩.

٢٢. جوف فانسا: **الأدب عند رولان بارت**، ترجمة: عبد الرحمان بوعلي، سورية، دار الحوار، ٢٠٠٤.

٢٣. جيران عبد الرحيم: **مفهوم السيمائيات**، الحوار الأكاديمي الجامعي، ١٩٨٨.

٢٤. حنون مبارك: **السيميائيات بين التوحد والتعدد**، الحوار الأكاديمي والجامعي، العدد٢، ١٩٨٨.

٢٥. حنون مبارك: **دروس في السيميائيات**، المغرب، دار توبقال للنشر، ١٩٨٧.

٢٦. خلف كامل عصام: **الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر**، القاهرة، دار فرحة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣.

٢٧. داسكال مارسيليو: **الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة**، ترجمة الحمداني وآخرون، المغرب، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، ١٩٨٧.

٢٨. دولودال جيرار: **السيميائيات أو نظرية العلامات**، ترجمة عبد الراحمان بوعلي، سوريا، دار الحوار، ٢٠٠٤.

٢٩. رالف لينتون: **دراسة الإنسان،** ترجمة عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت،١٩٦٧.

٣٠. الرويلي والبازعي سعد: **دليل الناقد الأدبي،** الطبعة الثالثة، بيروت، المركز الثقافي العربي، دون سنة.

٣١. السرغيني محمد: **محاضرات في السيميولوجيا،** الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٩٨٧.

٣٢. دريس عمار سيدي: **الانثروبولوجيا وجغرافية السكان،** الأردن، دار حامد للنشر والتوزيع، ٢٠١٥.

٣٣. شاكر سليم: **قاموس الانثروبولوجيا،** جامعة الكويت، ١٩٨١.

٣٤. صبطي عبيدة، بخوش نجيب: **الدلالة والمعنى في الصورة،** الدار الخلدونية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ٢٠٠٩.

٣٥. صديق النجاري أبي الطيب: **فتح البيان في مقاصد القرآن،** ج٢، الطبعة الثانية، بيروت، المكتبة العصرية صيدا، ١٩٩٥.

٣٦. صلاح فضل: **قراءة الصور وصور القراءة، مصر،** دار الشروق، ١٩٩٧.

٣٧. طالب الإبراهيمي خولة: **مبادئ في اللسانيات،** الجزائر، دار القصبة، ٢٠٠٠.

٣٨. الطبال بركة، فاطمة: **النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون،** الجزائر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٣.

٣٩. عبد الله ثاني قدور (٢٠٠٤): **سيميائية الصورة** (مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم)، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع.

٤٠. علي الجباوي: **الأنثروبولوجيا**، جامعة دمشق علم الإناسة، ١٩٩٧.

٤١. علي بدوي محمد: **دراسات سوسيولوجية**، لبنان، دار النهضة العربية ٢٠٠٦.

٤٢. عيسى الشماس: **مدخل إلى علم الإنسان (الانثروبولوجيا)**، دمشق، دراسة، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٤.

٤٣. غيرو بيير: **السيمياء**، ترجمة: أنطوان أبي زيد، بيروت، لبنان، منشورات عويدات، ١٩٨٤.

٤٤. فاخوري عادل: **علم الدلالة عند العرب**، مقاربة مع السيمياء الحديثة، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨٥.

٤٥. كامل مرسي أحمد، وهبة مجدي: **معجم الفن السينمائي**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣.

٤٦. لوشن نور الهدى: **مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، مصر، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، دون سنة.

٤٧. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: **مختار الصحاح**، القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٣.

٤٨. محمد بن عد الرحمان القزويني، جلال الدين: **الإيضاح في علوم البلاغة**، قدم له وبوبه وشرحه، علي بو ملحم، بيروت، لبنان، منشورات دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٠.

٤٩. مرتاض عبد الجليل: **مفاهيم لسانية دي سوسيرية**، وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.

٥٠. المرتجي أنور: **سيميائية النص الأدبي**، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، ١٩٨٧.

٥١. مرسلي دليلة وآخرون: **مدخل إلى السيميولوجيا** (نص-صورة)، ترجمة عبد الحميد بوهاتو، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٥.

٥٢. مؤمن أحمد: **اللسانيات النشأة والتطور**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دون سنة.

٥٣. هوكز ترنس: **البنيوية وعلم الإشارة**، بغداد، العراق ترجمة مجيد لماشطة، ١٩٩٦.

٥٤. يوسف أحمد: **الدلالات المفتوحة، مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة**، المغرب، منشورات الاختلاف، ٢٠٠٥.

٥٥. يوسف أحمد: **السيميائيات الواصفة المنطق السيميائي وجبر العلامات**، الجزائر، منشورات الاختلاف، بيروت، المركز الثقافي العربي المغرب، الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٥.

٥٦. خفاجة محمد صقر: **هيردوت يتحدث عن مصر، دار العلم ، القاهرة، ١٩٦٦.**

٥٧. خشيم علي فهمي: **نصوص ليبية**، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، ١٩٦٧.

٥٨. حسين فهيم: **قصة الأنثروبولوجيا-فصول في تاريخ الإنسان،** سلسلة عالم المعرفة (٩٨)، الكويت، ١٩٨٦.

٥٩. محمد مؤنس: **الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتدهورها**، عالم المعرفة، عدد كانون الثاني، الكويت، ١٩٧٨.

٦٠. حسن زيود زينب: **الأنثروبولوجيا، علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا**، الأردن، دار الاعصار العلمي، ٢٠١٥.

٦١. جيرو بيير: **علم الإشارة السيميولوجيا،** ترجمة منذر عياشي، قدمه مازن الوعر، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٨.

٦٢. سعيد بن كراد: **مقدمة لترجمة كتاب امبريتو ايكو العلامة تحليل المفهوم وتاريخه**، المغرب، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧.

٦٣. جون ستروك: **البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا**، تحرير وترجمة محمد عصفور، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٦.

٦٤. الطبال بركة، فاطمة: **النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون دراسة ونصوص،** بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩٣.

٦٥. زكي حسام الدين، كريم: **اللغة والثقافة دراسة أنثرو لغوية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية**، الطبعة الثانية، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١.

٦٦. عبد الحميد أحمد رشوان، حسين: **الثقافة دراسة في علم الاجتماع الثقافي**، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٦.

٦٧. حِميش بن سالم : **فلسفة الوجود والجدوى، نقد ثقافة الحجر وبداوة الفكر**، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٤.

٦٨. مردوخ ابراهيم: **مسيرة الفن التشكيلي في الجزائر**، الصندوق الوطني لترقية الفنون وتطوريها، الجزائر، وزارة الثقافة، ٢٠٠٥.

٦٩. محمد زغود: **أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب**، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد٤، ٢٠١٠.

٧٠. نسيب يوسف: **واحة بوسعادة**، الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، دون سنة.

٧١. عابدين علية: **دراسات في سيكولوجيا الملابس**، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٠.

٧٢. سالم عفيفي فوزي: **نشأة الزخرفة وقيمتها ومجالاتها**، دار الكتاب العربي، مصر، دون سنة.

٧٣. نعمان بوقرة: **محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة**، عنابة، منشورات جامعة باجي مختار، ٢٠٠٦.

٧٤. الكاحل فرج: **تأثير وسائل الاتصال**، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٥.

٧٥. أبو النجا محمد العمري: **الاتصال في الخدمة الاجتماعية**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٦.

ثالثا:الكتب الأجنبية

□

1. Darnell,Regna and editor :**Reading in the History of Anthropology**, University of Illinois, 1978.
2. E. Sapir : **Le langage** , édition Payot,1970.
3. Ernst Cassirer : **La philosiphie des formes symboliques**, Le langage, édition Minuit, 1972
4. Laurent Gervereau, voir, comprendre, **Analyser les images**, paris, Edition la découverte,1997,
5. Mounin George : **Clefs pour la Linguistique**, 19 édition, Paris , Collection Clefs.

6. Oswald Ducrot/Tzvetan Todorov: **Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage**, Edition du Seuil, 1972.
7. Pierce Charles Sanders : **Ecrits sur Le Signe**, édition, Le Seuil, 1978.
8. Saussure Ferdinand : **Cours de linguistique générale**, édition Payothèque, 1979.
9. Y. Winkin : **Anthropologie de la communication**, De la théorie au terrain, édition, Le Seuil, 2001.

رابعا: المجلات

١. إبراقن محمود: **عناصر البلاغة ونظائرها في البلاغة العربية وسيميولوجيا السينما**: مجلة الاتصال، الجزائر، ١٩٩٦.
٢. بنكراد سعيد: **السيميائيات النشأة والموضوع**، مجلة عالم الفكر،العدد ٣، ٢٠٠٧.
٣. الحاج صالح عبد الرحمان: **مدخل إلى علم اللسان الحديث**، اللسانيات، مجلة يصدرها معهد العلوم اللسانية والصوتية لجامعة الجزائر، ، المجلد الثاني، العدد الأول، 1972 .
٤. علي زغينة: **محاضرات الملتقى الوطني الثاني السيمياء**، والنص الأدبي، منشورات جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ٢٠٠٢.
٥. لعياضي نصر الدين: **البنيوية**، الاتصال، الفضاء الثقافي العربي، المجلة الجزائرية للاتصال، العدد١٧، ١٩٩٨.
٦. محسن وعزيزي: **سيميولوجيا الأشكال الاجتماعية عند بارت**، مجلة الفكر العربي المعاصر، ٢٠٠٠.

خامسا:الرسائل العلمية

١. حسين محمد العمري سائدة: **سيميائية نوازع النفس في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٩.

٢.يخلف فايزة : **دور الصورة في التوظيف الدلالي للرسالة الإعلانية** (دراسة تحليلية سيميولوجية لعينة من إعلانات مجلة "الثورة الإفريقية)، رسالة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، ١٩٩٨.

سادسا:المواقع الإلكترونية

1. **http://www.arabicnadwah.com.**
2. **http://www.merbad.net**.
3. **http://www.arabicnadwah.com.**
4. **http://www.saidbengrad.com**
5. **http://www.taakhinews.org.**
6. **http://www.lissaniat.net.**
7. **http://www.marocsite.com**.
8. **http://www.col-sea.com/vb/newreply.php?do= newreply &noquote =1& p= 311754.**□